

معارك إسلامية حاسمة



اليرموك
بقية
خالد بن الوليد

أبو جليل



(طبعة ثانية)

١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



تقدير

ناولت مجاهدة مسلمة ولديها
الصغير سيفاً ، فرآه قصيراً ...
فقال : « انه قصير يا اماء » ،
فقالت : تقدم يا بني خطوة فيطول !..

● بهذه الروح ، وهذه النفسية ، وهذا الايمان ، جابه اجدادنا
العرب اعداءهم . بهذه الكلمات وأمثالها ، وبما تحمل في طياتها
من عقيدة راسخة ، ويقين خالد ، تعجز فلاسفة الدنيا وعلماءها
من ايفائها حقها من التحليل ، جابه العرب المسلمون قوى البغي ،
وانصاف الالهة ، ومراكز الظلم والاستعباد .

● يمثل هذه الروح ... جابهوا اعداءهم في جبهتين معا وفي
آن واحد ، جابه الاجداد جبهة الفرس شرقا وجبهة بيزنطة غربا
وشمالا ، وهم حديثو العهد بالحروب وما في هذه المجابهة من
خطر كبير ، فدخل العالم اليوم - جميعها - تخشى أن تفتح جبهتين
أو يفتح عليها جبهتان في آن واحد ، ولكن العرب الذين صقلهم
الاسلام كانوا بشرا ولكن لا كالبشر ، بشر دخل الايمان في قلوبهم
فصار واحدهم كأنه محور هذا الكون ...

كيف لا يحققون الانتصارات وهذه الروح نفحها بهم رسول
الله (ص) اليس هو القائل - صلى الله عليه وسلم - : « والذي

نفس محمد بيده ، لوددت أن أغزو في سبيل الله فاقتل ، ثم أغزو فاقتل ، ثم أغزو فاقتل « (١)

وما الغزو في عرفنا الحاضر ؟ !...

الغزو كما أراده الاسلام : محاربة للدعة والتواكل والطبقية ، ونشر لمبادئ الانسانية . محاربة للفقر والجهل ، ونشر للعلم والتقدم . محاربة للرزيلة والتفسخ ، ونشر للفضيلة والتماسك والمحبة ، محاربة لعبودية الانسان للانسان ، ونشر للتحرر والتحرير ولا معبود الا الله الخالق وحده ... فمن قام يغزو في سبيل هذه المثل العليا التي ارادها الله ، علم النبي (ص) منزلته عند الله ، فتمنى أن يغزو فيقتل ثم يغزو فيقتل ...

● وبفضل الله تعالى وعنايته وتوفيقه ، تم تأليف وطبع الجزء الاول من :

« معارك اسلامية حاسمة » والذي كان عنوانه (القادسية) .

وهذا - عزيزي القارئ - الجزء الثاني (اليرموك) بين يديك وسيليه باذن الله الجزء الثالث وهو معركة (نهاوند : فتح الفتوح) وما جرى من فتوح في جبهة الفرس .

● هذه المعارك التي شهدت من البطولات ما يجعلها تقترب من الخيال وهي الحقيقة واليقين ، كيف لا يسطر اجدادنا البطولات وهم الخارجون للشهادة ، وللشهادة فحسب ؟ كيف لا يحققون نصراً

(١) رواه ابو هريرة (البخاري ومسلم) .

يتلوه نصر على مر الزمن ، وكل فرد منهم عظيم في ذاته ، على تواضعه ؟ كيف لا ؟... وكان الفرد يفعل الفعلة التي تكسبه مجدا وشهرة أبد الدهر ، ثم يخفي اسمه ولا يعلنه قانعا بثواب الله وكفى ؟...

— لقد انكرت نفوس الفاتحين ذاتها ، وخالفت هواها في سبيل خدمة الانسان والمثل العليا ، ما السبب ؟

السبب : تربية القرآن بأشراف النبي ، أو من ناب عنه من كبار المرين . ولو درسنا **عظماءنا** في تاريخ المجد والانتصارات الرائعة ، لوجدنا الى جانب كل حياة **قائد عظيم** ، المربي الكبير ، والمعلم الحكيم . وإذا أردنا أن يعيد التاريخ نفسه ، فلنطبق قوانينه ... قال تعالى : **« وان عدتم عدنا »** (١) وقال : **« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم »** (٢) . وورد في الاثر انه : **« لن يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح عليه اولها »** ، فهل لنا — معشر العرب والمسلمين — أن نلتقي مع ورثة الانبياء ، الذين يفيضون علينا العلم والحكمة والحياة والسعادة ؟ بعد تطهيرهم لنفوسنا من عبادة الذات ، وأسر الشهوات ، وفكاكهم لنا من أسر الاستعمار الفكري الذي قيدنا بمركب النقص الفولاذي ، فأوحى إلينا أن ننبد اسلافنا ونهمل تاريخنا و ... بداعي اهمال كل قديم .

● كيف لا تكون معارك الاجداد ملاحم انتصارات وبطولات ؟ ومن

(١) الاسراء ١/١٧

(٢) سورة الرعد ١٢/١٣

خاض هذه المعارك باع دنياء بآخرته ؟ كيف لا ؟ .. والمؤمن المجاهد يقول : الله أكبر ... فما يكاد يسمعها الا وتطير به روحه ، شوقا الى لقاء الدار الآخرة ؟ !...

● لقد كبر المجاهدون قائلين : الله أكبر ... ولو كان الصوت الصادر منهم نورا ، لملا بين الفجر والضحى ، وأي زمام اقوى روحانية ، وأشد وأوثق من زمام هذه العبارة ؟ !..

« الله أكبر » كانت دقائق في ساعة الاسلام لموعده جميل بهيج ، تحنو الروح اليه وتهفو ، انه موعد مع احدى الحسينيين : اما النصر واما الشهادة . فكانت روح المجاهد المؤمن - والروح اسمى من المادة الدنيئة - تجيب لبيك ربي ... لبيك ربي ...

● كيف لا يحقق الاجداد البطولات الخارقة والايمان الذي في قلوبهم جاء في قوة اخلاقه ، وصدق يقينه كشباب الفجر ، يبعث حياة النور الانساني ، والتحرر البشري ، بعثا جديدا بعد ان طمست الانسانية وظلمت آفاقها الروحية ؟ .

● كيف لا تكون معارك الاجداد خالدة خلود الدهر ، وهم الذين تركوا الشهوات ومتع الدنيا ؟ والشهوات والمتع ما هي الا حصر النفس في جانب من الشعور محدود : متع - هموم - لذات .. جزع ... فتجعل غرض الانسان في الانسان نفسه ، فتسخر منه حقائق الكون ، خرج الجند من جزيرتهم ، واتساع ذاتهم اتساع الكون . فلو ملك احدهم الدنيا بمالها وخيراتها ، يبقى هممه الشهادة . ملكه وغنائمه كلها في نظره زائلة ، فأصبحت نفسه

« كالمخل » يوضع الدقيق الناعم فيه ليخرج منه ، فيمسكه كله ولا يملك منه شيئاً ...

● كيف لا يسطر الاجداد البطولات وهم الذين راوا في ارادة رسول الله (ص) النقطة الثابتة ، وقطب الرحى ، فيما يتضارب من خيالات في النفس ؟ فكانوا اكبر علماء في الاخلاق على ارضنا هذه ، لا من كتب ولا فلسفة ، بل من قلب رسول الله وما أوحى الله اليه في القرآن ...

● كيف لا تكون « اليرموك » ملحمة عز وفخار ؟ وقد خرج اليها المجاهد من جزيرته وكأنه يمشي في الحياة الى الجنة ، بخطوات مسددة ، لا زيف فيها ولا انحراف ؟ وهو الذي خرج وهو يعلم أن دنياه هي الدنيا كلها بشمسها وقمرها ، يملكها وان لم يملك منها شيئاً ، مادامت في قلبه طبيعة السرور والبهجة والرضى ، فكل ما أمكن بيده ، فهو الغنى الكامل ، قوته في روحه ، فيندفع الجسم بقوى خفية جبارة عنيفة ... فكانت البطولات والانتصارات ...

● كيف لا تكون « اليرموك » ملحمة عز وفخار وكان المجاهد فيها يضرب بالسيف في سبيل الله — فتقع ضربات السيوف على جسمه فتمزقه فيصيح : « **فزت ورب الكعبة** » ؟ كأنه يحس هذه الضربات وكأنها قبل أصدقاء طال غيابهم ، فيلقونه ويعانقونه ...

● كيف لا نفخر بهذا التاريخ ، وبهذه المعارك ، ومعنويات من خاضها في علوها لا توصف ، وفي عزتها لا تقارن ؟ . ألم يقل خالد في اليرموك : « **والله وددت أن (الاشقر) براء ، وأنهم اضعفوا** »

العد ؟ !... و « الاشقر » هو فرسه تمنى أن يكون فرسه سليما
برئاً من مرضه ، وان الروم ضعف عددهم .

فعلى بركة الله - يا أخي - سنمضي في هذه السلسلة
« **فلعل الفارس يعلو ظهر جواده ثانية ، ويعيد لامته عزتها ثانية** » .
ومن هو الفارس ؟ الا ... انا وانت - أيها القارئ العزيز - ولا
يكون ذلك الا حينما نعود لمدرسة القرآن ، فنجعل منه غذاءنا
الفكري والروحي ، ونتخذ من سيرة النبي وأصحابه قدوتنا
وأسوتنا ، ولا نكون اقل من بذرة الشجرة الطيبة حين تحمل كل
الصفات الوراثية الجميلة من أمها العظيمة ... لعل الابناء يتذكرون
تاريخ الاجداد فينهجوا نهجهم : عزيمة وإيماناً ، عدلاً ومحبة ،
انسانية ووجدانا ، وحدة وتحرراً ، علماً وعرفانا .

● ترى !!!...

انشاهد بأمر أعيننا رايات العروبة المؤمنة تسد السماء ؟ نشهدها
تزدحم في الآفاق خفاقة ؟ تختال زهوا فوق الجيوش ، لتأخذ
مكان الصدارة على قبة العواصم وفوق القلاع والجبال ، ونرى
أمتنا من خليجها الى محيطها متوحدة متحررة متماسكة ؟؟..

- **بإذن الله ...** ستعاد مثل هذه المعارك الحاسمة مع عدونا
الصهيوني الخبيث ستكون معركة واحدة حاسمة ، معه ومع من
خلفه من استعماريين وامبرياليين ، وسيسطر جنودنا وابطالنا
الاشاوس صفحات خالدة في العز والبطولة ، سيذكرها التاريخ كما
ذكر معارك غيرها ، وما معركة « تل الفخار » في حزيران ١٩٦٧

الا دليلا على أن الابناء سيكونون كالأباء ، وسيعرف العالم كله
ان امل الدولة المسخ في البقاء ، كامل الظمء الذي يطلب شربة
ماء من سراب .

● فتحية اعجاب ، واحترام ، واجلال ، وخشوع ، وتقدير ...
الى ابطال :

الفادسية - اليرموك - نهاوند - ذات الصواري ... وتحية
حب وتقديس الى الابطال الذين ظللتهم الرايات الاولى ... وتحية
حب وتقديس الى الابطال الذين ستظلهم الرايات عما قريب وهم
يدخلون الى « قدسنا » لاعادتها الى حظيرة الامة ...

فالى « اليرموك » والى « خالدها »
وعلى بركة الله .

المؤلف :

شوقي أبو خليل

دمشق :

٢٦ شعبان ١٣٩٠ هـ

٢٦ تشرين الاول ١٩٧٠ م

دولة الرومان

وَأَوَّلُ اسْتِثْنَاءٍ مِنْهُمْ « مُؤْتَةٌ » .

كانت دولة الروم ، الدولة الثانية في عظمتها في العالم كله ، تناصي دولة الفرس في سعة الملك ، وقوة السلطان ، وازدهار الحضارة ، ولما قسم « تيودوسيوس » : ٣٩٥-٤٠٨ م ، الامبراطورية الى قسم غربي وآخر شرقي ، كان نصيب القسم الشرقي لابنه « رقادْيوس » ، وسميت دولته « بدولة بيزنطة » ، فاذا اوردنا كلمة : بيزنطة ، او الروم ، او البيزنطيين ، فالمعنى واحد ، نريد به الدولة البيزنطية الشرقية التي عاصمتها القسطنطينية ، ولا شأن لنا في هذا الكتاب بدولة الروم الغربية التي عاصمتها روما .

توالى القياصرة في القسطنطينية حتى حكم « هرقل » الذي كان قبل أن يتولى الملك واليا في افريقية ، ثم خرج متمردا على « فوقا » فقتله وتوج بعده بالملك سنة ٦١٠ م ، وكان تحت كنفه بالشام العرب اللخميون ، وبنو تغلب ، وايداد ، وبنو بكر ، وبنو عدرة ، وبنو عدوان ... وهرقل هو الملك الذي سقطت من يده سورية بيد المسلمين الفاتحين .

ومناوشات المسلمين مع الروم بدأت منذ أيام رسول الله (ص) ،

بدأت بعد ان ارسل النبي (ص) رسائله الى ملوك وحكام البلاد خارج الجزيرة العربية يدعوهم فيها الى الدين الحنيف ، والاهتداء بنوره ، وترك الوثنية وظلم الانسان لاخيه الانسان ، فلا عبد ولا سيد مستعبد ، فكان رد بعضهم طيبا « كالمقوقس والنجاشي » وكان رد البعض الآخر قاسيا ، فقد طرد كسرى الوفد الذي كان برئاسة الصحابي الجليل : عبد الله بن حذافة السهمي ، اما امير الفساسنة الذي يهنا في هذا الكتاب امره ، والذي كان خاضعا للبيزنطيين واسمه « الحارث بن ابي شمر الفساني » فقد قبض على رسول رسول الله (ص) فقتله ، قتل الامير الفساني رسول النبي وهو : « الحارث بن عمير الازوي » وليس هكذا تعامل الوفود ، لا قديما ولا حديثا ، فكان لزاما على النبي (ص) ارسال جيش للاقتصاص من الامير الفساني الذي لم يعرف آداب ولياقة استقبال الوفود ، كان لا بد من الجزاء لهذا الامير الذي تناسى وعن عمد ان الوفود لا تقتل مهما عملت ، ومهما تكلمت ، فهذا عرف دولي تجاهله وتغافل عنه ، قتل الامير الفساني « الحارث » وهو يقول : « من ينزع مني ملكي ، انا سائر اليه » ، فكان من المحتم تسيير جيش ليفهم الامير ان امر هذه الامة قد تبدل ، استكانتهم أصبحت قوة محررة فاتحة ، كان من الضروري خروج جيش من جزيرة العرب كي لا يغزى الاسلام في عقر داره تطاولا وسوء تقدير من الامير الفساني .

لما سبق ، سير النبي (ص) في جمادى الاولى سنة ٨ للهجرة ، (٦٢٩ للميلاد) جيشا متواضعا من حيث العدد ، ضخما من حيث

اليقين والايمان ، سير صلى الله عليه وسلم جيشا بقيادة شاب يافع ملاً الايمان قلبه ، وملأت محبة رسول الله جميع ارجاء روحه انه « زيد بن حارثة » ، وقال النبي (ص) ان أصيب زيد فجعفر ابن ابي طالب على الناس ، فان أصيب جعفر ، فعبد الله بن رواحة على الناس » ، سار الجيش بقيادة زيد ، وعدده ثلاثة آلاف فقط ، وودع زيد رسول الله والدموع في عينيه ، لا خشية الموت لانه خارج للالاقاته ، بل دمعت عيناه ، لانه استشف في روحه وقلبه انه لن يرى رسول الله في هذه الدنيا بعد يومه هذا .

سمع الروم بقدوم هذا الجيش الذي خرج اليهم ، فأعدوا له عدة كأنهم يعدونها لدولة الفرس ، فكان مجموع ما جمعوا من الروم والعرب (٢٠٠ ألف) على اقل تقدير ، وكيف تتمكن فئة عددها (٣ آلاف) فقط ان تجابه هذه القوة ؟

لقد رتب رسول الله قواد المعركة ، فعلم المسلمون ان الغيب ربما يخفي شيئاً ، فكان هذا الظن في خلد كل مسلم في المدينة المنورة ، خاصة بعد ان تأخرت الاخبار ، فالجميع في حاجة الى اخبار مطمئنة من رسول الله ، وفي مقدمة الجميع أهل بيت القواد الثلاثة .

جلس النبي (ص) في محراب مسجده الشريف ، بعد صلاة عصر وقد ادار وجهه الطاهر الكريم الى المصلين ، وقد علتة الحمرة ، وغلبته الرعدة والحزن ، فارتاع المسلمون لمشهد رسول الله ، وكأنه ينظر بعينه الى ملحمة حامية تدور رحاها بين ثلاثة آلاف من

جنده ، وبين مائتي الف من أعدائه ، وكادت الدائرة تدور على جنده ... فأخذ يقول صلوات الله عليه والمسلمون في دهشة وعجب :

- أخذ الراية زيد بن حارثة ، فقاتل بها حتى قتل شهيدا ... ثم أخذها جعفر ، فقاتل بها حتى قتل شهيدا ، وصمت برهة ، فتغيرت وجوه الانصار ، انهم جميعا يريدون استشهاد عبد الله بن رواحة لكسب هذا الشرف العظيم ، وظن الانصار انه قد كان في عبد الله بن رواحة - وهو منهم - بعض ما يكرهون ... ولم يطل الانتظار حتى استأنف رسول الله حديثه فقال : ثم أخذها عبد الله ابن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيدا ... عند ذلك هتف الانصار من أعماقهم : الله اكبر ، فرددت معهم جنبات المسجد : الله اكبر .. انهم خشوا الا يشاركوا المهاجرين « وزيد وجعفر مهاجران » فخر الاستشهاد في هذه الغزوة ، فكان فرحهم بشهادة عبد الله ، بمقدار حزنهم على فراقه وفقده .

ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله الا وهو : خالد بن الوليد ، الذي تراجع بالجيش فظن الروم والعرب انها خدعة فانسحبوا ، وخالد هذا - رضي الله عنه - سيكون بطل « اليرموك » لقد تمكن خالد بمهارته وحنكته الحربية أن ينسحب ، ولم تجرؤ الروم على مطاردته خوفا من كمين ينصب لهم في الصحراء .



تبوك

« لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار الذين اتبعوه في ساعة
العسرة ... » ١١٧/٩ .
« صدق الله العظيم »

تطاول الروم وظنوا بأنفسهم ان النصر قد تحقق لهم ، ويطمعون
الآن ان يسحقوا الدعوة في مهدها في المدينة ، فترامت الانبياء الى
رسول الله (ص) أن الروم يحشدون قواتهم على حدود فلسطين
للزحف على المدينة ، فجهز صلى الله عليه وسلم جيشا في رجب من
السنة التاسعة ، ويسمى هذا الجيش بجيش العسرة لان التأهب
للخروج كان في زمن عسرة من الناس وشدة من الحر وجذب من
البلاد وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم
ويكرهون الشخوص على هذا الحال من الزمان الذي هم فيه ولكن
امر الرسول احب اليهم من ثمارهم وظلالهم فأنفق الكرام ما يتجهز
به ضعفاء الحال .

خرج رسول الله (ص) حتى وصل بجيشه وقدره (١٠ آلاف)
الى تبوك ، وهناك جاء النبي « صلى الله عليه وسلم » يحنة بن رؤبة
صاحب « ايلة » ، فصالح واعطى الجزية . ثم جاء اهل « جرباء »
واهل « اذرح » فأعطوا الجزية ، والجزية هي مقابل الحماية ،

لنتمتع مثلاً كتاب النبي (ص) « لحينة » : (بسم الله الرحمن الرحيم : هذه أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله لحينة بن رؤبة وأهل أيلة سفنهم وسياراتهم في البر والبحر لهم ذمة الله وذمة محمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل البحر .. » (١) .

ثم بعث النبي (ص) وهو بتبوك خالد بن الوليد الى « أكيدر » وهو في دومة الجندل ، فذهب اليه وأسرهُ ، وجاء به الى الرسول (ص) فحقن له دمه وصالحه على الجزية ، ثم أخلى سبيله فرجع خالد الى « دومة الجندل » وبقي « أكيدر » عليها أميراً .

أقام المسلمون بتبوك بضعة عشرة ليلة ، لم يجدوا أثناءها أي جيش رومي ، حيث انسحب شمالاً خوفاً ورعباً من الثأر ، فرجع الجيش الى المدينة ، وهذه الغزوة آخر مرة خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم محارباً غازياً .

كما جهز صلى الله عليه وسلم جيشاً بقيادة « أسامة بن زيد » ليسيره الى الشام لكن النبي الكريم لحق بالرفيق الأعلى قبل تسيره لجيش أسامة .



(١) في الجزء الأخير من هذه السلسلة ، ستوضح ونناقش معنى وواقع بعض الكلمات مثل : الذمة والجزية ... باذن الله ...

منظومة قوة

« الا لا يبقين بالمدينة أحد من جند
أسامة الا خرج الى عسكره بالجرف »

ولما تولى أبو بكر الخلافة كان أول عمل قام به انه أرسل مناديا
ينادي : ليتم بعث أسامة ، الا لا يبقين بالمدينة أحد من جند أسامة
الا خرج الى عسكره بالجرف . فكيف أرسل أبو بكر هذا الجيش
والناس يقولون له : قد امتدت العرب ، اما عامة واما خاصة في
كل قبيلة ، ونجم النفاق ، واشرايت اليهود والنصارى ، والمسلمون
كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية ، لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم
وقلتهم ، وكثرة عدوهم ، ان هؤلاء جل المسلمين والعرب — على
ما ترى — قد انتقضت بك ، فليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة
المسلمين ، فقال أبو بكر : والذي نفس أبي بكر بيده ، لو ظننت أن
السباع تخطفني ، لانفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله (ص)
ولو لم يبق في القرى غيري لانفذته !

وحاول الانصار تأخير الجيش لتوجيهه الى حرب المرتدين ،
فأبى الصديق ، قال عمر للصديق . يرى الانصار لو أمرت (١) رجلا
أقدم سنا من أسامة ، فوثب أبو بكر — وكان جالسا — فأخذ بلحية

(١) يظهر هنا تقدير الاسلام للشباب . . كيف أن على اكتافهم تبنى الدول ،
فهذا أسامة الشاب قائد جيش فيه كبار الص — من حيث القدر والسن .

عمر وقال له : ثكلتك امك وعدمتك يا ابن الخطاب ، استعمله رسول الله (ص) وتأمرنى أن انزعه ؟ فخرج عمر الى الناس ، فقالوا له : ما صنعت ؟ فقال : ثكلتكم أمهاتكم ! ما لقيت في سبيلكم من خليفة رسول الله ؟ .

خرج الصديق وشيع الجيش ماشيا (١) وأسامه راكب ، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر ، فقال له أسامة : يا خليفة رسول الله والله لتركبن أو لانزلن ! فقال الصديق : والله لا تنزل ووالله لا أركب! وما علي أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة، ثم وقف الصديق يحدد بكلمات واضحة خالدة : إنسانية حروب امتنا فكانه وضع دستوراً لحروب هذه الأمة سيكون نهجا نفخر به ، إذ هذا الفكر لم تصل اليه الدول حتى في أيامنا الحاضرة ، قال الصديق :

« يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني : لا تخونوا ولا تغفلوا (٢) ، ولا تغدروا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ، ولا تعقروا (٣) نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تنبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لماكله ، وسوف تمرن بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها الوان الطعام ، فإذا أكلتم منها شيئا بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها . وتلقون أقواما قد فحسوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها

(١) تظهر في هذه الصورة « اخلاق رجل الدولة وتواضعه » دون ان ينقص ذلك من قدره شيئا ، بل العكس هذا يزيد خلودا ورفعة وتقديرا ...

(٢) من « اغل » خان . ولا تغفلوا لا تخونوا .

(٣) عقر النخلة : قطع رأسها .

مثل العصائب ، فأخفقوهم بالسيف خفقا . اندفعوا باسم الله » .

ركزت على تسيير هذا الجيش لسببين :

● **الاول :** ان هذه الوصية لم يعهد العالم مثلها ، لقد شهد العالم فاتحين كثر ، ولكنه لم يشهد مثل انسانية الفتوحات الاسلامية(١) كلمات ابي بكر في وصيته دستور فتوحاتنا ، وهي غاية الحرص على الارواح ، وارقى غايات الانسانية في الحفاظ على الثروة الطبيعية ، فهي تنطق بصريح العبارة : الا تقاتلوا الا جند الاعداء ، ولا شأن لكم بالاطفال والشيوخ والنساء ، كيف لا تكون هذه الكلمات دستور فتوحات هذه الامة وقد توجت بـ « لا تخونوا ولا تغلوا » ؟ وجند الفتح لن يخونوا ولن يغلوا من ؟ اعداءهم !!... فكيف بينهم ؟ انهم صفوة البشر ، وكفاهم فخرا انهم خاضوا فتحا وحربا مع انسانية واحترام للشعوب ، لا ... بل لزرعهم وثروتهم الحيوانية ، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لما كله ، فنهيا للامم بعدالة الاسلام ورحمته التي شملت حتى الحيوان .

● **والسبب الثاني :** ان الصديق علم علم اليقين ان العرب في ردة ، وهو بحاجة الى هذا الجيش ، جيش اسامة ، فليس من قال للصديق : « فليس ينبغي لك ان تفرق عنك جماعة المسلمين » قصر النظر ، لا ، فمن قال هذا كان بعيد النظر ، ولكن الصديق ابعد منه نظرا ، يريد افهام من يطعم بهذه الامة اباداة وخسفا — خاصة

(١) سنقرن في الجزء الاخير من هذه السلسلة حروبا العربية الاسلامية مع الحروب الاخرى التي شهدتها العالم ، لنرى هل هذه الحروب انسانية خيرة ؟ وهل كان الاسلام في فتوحاته انسانيا خيرا كما نقول ، ام ان انسانيته لها حدود ؟

بعد سماعهم انباء الردة - ان هذه الامة راسخة البنيان ، قوية في ذاتها ، متينة رغم الردة ، فليس فيها ما يجعل خليفتها يؤخر جيشه ليسير الى الاعداء ، يريد اقناع وافهام الدولتين الكبيرتين - **فرس ، وروم** - ان لو كان امر الردة امر جلل ، لاحتفظت بهذا الجيش ، بل لو كان الامر جللا ومن الاهمية بمكان وكان الجيش خارج الجزيرة لاستدعيته لتهدة الاحوال الداخلية ، **اليس الصديق رضي الله عنه امام مظاهرة قوة** ، مظاهرة دعائية افهم بها الروم والفرس ان دولته بخير والامر غير ما يتصورون ، رضي الله عنه من اي مدرسة او اكااديمية حرب تخرج ؟

هذا خارجيا ... اما داخليا ، فبالمظاهرة نفسها ، افهم الصديق المرتدين والمتنبئين واقنعهم بانه من القوة بشكل يجعله يقضي على دجلهم بسهولة ، وانه لديه من القوات ما يكفيه حربهم وحرب الروم معا ، اقنعهم ان لديه فائضا سيره باتجاه الروم ، فماذا عمل رضي الله عنه بمعنوياتهم ؟ ألم يحطمها ؟ ألم يشعرهم بثقته بنفسه ، ويقينه بالنصر ؟ وأشعرهم بضعفهم وغوغائيتهم !

رضي الله عن الخليفة الاول ، لقد درس هذه الفنون الحربية النفسية وهذه الخطط الرهيبة من « اكااديمية حربية » خالدة ، درسها من رسول الله (ص) . وفي الحقيقة ، لم يكن تقدير الصديق خطأ ، بل هو عين الحكمة ، ومحض الصواب ، واخيرا لا يغرب عن ذهننا ، انه بتفسير جيش اسامة ، طاعة ما يعدها طاعة ، انها طاعة الصديق لامر رسول الله (ص) فالنبي هو الذي جهز هذا الجيش وعقد عقاله واني للصديق حل هذا العقال .

رايات تحقق منفعة

تسيير الجيوش الى الشام ، انها
الرايات الاربع ، امام الوية اربعة ،
على رأس كل منها ليث من ليوث هذه
الامة ، يزحف امام اشباله وقد خرجوا
من المرين متحفزين ...

بعد الانتهاء من حروب الردة وتسيير خالد من « اليمامة » الى
العراق في سنة ١٣ هـ . جهز الصديق الجيوش الى الشام ، بعث
عمرو بن العاص الى فلسطين ، وسير يزيد بن ابي سفيان وأبا عبيدة
ابن الجراح وشرحبيل بن حسنة أمرا اياهم أن يسلكوا تبوك على
البلقاء الى الشام . وكان عدد كل لواء من هذه الالوية الاربعة ، ثلاثة
الاف ثم توالى لكل لواء فيما بعد النجدات .

وصل الامراء الى الشام ، فنزل ابو عبيدة « الجابية » على طريق
دمشق ، ونزل يزيد البلقاء مهددا « بصرى » ، ونزل شرحبيل
الاردن بأعلى الفور فوق طبرية ونهر الاردن - وقيل نزل في بصرى -
اما عمرو فقد وصل الى وادي « عربة » .

عين الصديق لكل منهم الولاية التي يتولاها بعد الفتح ، فجعل
لعمر بن فلسطين ، وليزيد دمشق ، ولابي عبيدة حمص ، وشرحبيل
الاردن .

سار الامراء الليوث الى اهدافهم ، وعكرمة بن ابي جهل رده (١) للناس ، فبلغ الروم ذلك ، فكتبوا الى هرقل ، فجاء من حمص ، أعد هرقل الجند وجمع العساكر ، وأراد أن يشغل قواد المسلمين بعضهم عن بعض لكثرة جنده وفضول رجاله ، أراد أن يحاربهم متفرقين لكن عمرا تنبه للامر ، خاصة بعد أن أرسل هرقل أخاه « تذارق » في تسعين الفا ، فوصل « تذارق » (ثنية جلق ، بأعلى فلسطين) . كما بعث هرقل « جرجة بن توذرا » نحو يزيد ابن ابي سفيان فعسكر بازائه ، وبعث « الدراقص » فاستقبل شرحبيل بن حسنة ، وبعث هرقل أيضا « الفيقار بن نسطوس » في ستين الفا نحو أبي عبيدة ، فهابهم المسلمون وخاصة أن جميع الويتهم تعد واحدا وعشرين الفا باستثناء عكرمة فهو في ستة آلاف أيضا ، فالمجموع سبعة وعشرون الفا ، فسأل الجميع بكتب مستعجلة عمرا بن العاص : أما ما الرأي ؟ فكاتبهم ورأسلهم أن الرأي الاجتماع وذلك أن مثلنا إذا اجتمع لم يغلب من قلة ، وإذا نحن تفرقنا لم يبق الرجل منا في عدد يقرب (٢) فيه لاحد ممن استقبلنا وأعد لنا ، لكل طائفة منا ، فاتعدوا اليرموك ليجتمعوا به .

كما كتب الامراء الى أبي بكر بمثل ما كاتبوا عمرا ، فطلع عليهم كتابه بمثل رأي عمرو ، أن اجتمعوا فتكونوا عسكريا واحدا ، والقوا زحوف المشركين بزحف المسلمين ، فانكم أعوان الله ، والله ناصر من نصره ، وخاذل من كفره ، ولن يؤتى (٣) مثلكم من قلة ، وإنما يؤتى

(١) رده لهم ، معين وناصر وداعم لهم .

(٢) أقرن له : إذا غلب عليه .

(٣) يؤتى : يغلب أو يهزم .

وتغلب العشرة آلاف والزيادة على العشرة آلاف اذا اتوا من تلقاء
الذنوب فاحترسوا من الذنوب واجتمعوا باليرموك متساندين وليصل
كل رجل منكم باصحابه .

بلغ ذلك هرقل فكتب الى بطارفته ان اجتمعوا لهم ، وانزلوا
بالروم منزلا واسع العطن (١) ، واسع المطرد (٢) ، ضيق المهرب ،
وعلى الناس التدارق وعلى المقدمة جرجة وعلى مجنبيه « باهان »
و « الدراقص » وعلى الحرب الفيقار ، فابشروا فان « باهان » في
الاثر مدرءا لكم . ففعلوا فنزلوا الواقوسة — وهي على ضفة
اليرموك — وصار الوادي خندقا لهم ، وهو لهب (٣) لا يدرك ، وانما
اراد باهان واصحابه ان يستثبت الروم ، وترجع اليهم افئدتهم عن
طيرتها وتشاؤمها .

انتقل المسلمون من عسكرهم الذي اجتمعوا به ، فنزل عليهم
بحدائهم على طريقهم ، وليس للروم طريق الا عليهم ، فقال عمرو :
ايها الناس ، ابشروا ، حصرت والله الروم ، وقلما جاء محصور بخير !
اذ ان الروم تتحرك في منبطح فسيح من الارض تحيط به من ثلاث
جهات الجبال المرتفعة ، فهم محصورون ، بقي المسلمون امامهم
صفر من سنة ثلاث عشرة وشهري ربيع لا يقدر من الروم على
شيء ولا يخلصون اليهم ، اللهب — وهو الواقوسة — من ورائهم ،

(١) العطن : في الاصل مبرك الابل ومريض الفم حول الماء ، والمراد هنا انزلوا
مكانا فسيحا فيه ماء .

(٢) المطرد : الطويل ، يقال يوم مطرد ، يوم طويل والمراد هنا مكان فسيح طويل .

(٣) لهب : بكسر اللام : الفرجة بين الجبلين .

والخندق من امامهم ، ولا يخرجون خرجة الا اذيل (١) المسلمون منهم ، حتى اذا سلخوا شهر ربيع الاول ، وقد استمدوا ابا بكر واعلموه الشأن في صفر ، فكتب الى خالد ليلحق بهم ، وامره ان يخلف على العراق المثني .

علم الصديق خطر المعركة ، وخرج الموقف ، وقلة عدد جيشه ، وكثرة عدد جيش عدوه ، فاختر لهذه المعركة الحاسمة : بطل حروب الردة ، وقاهر الفرس ، وسيف الله المسلول ، وقال ابو بكر لاصحابه : « خالد لها » ثم قال رضي الله عنه كلمات ما قرأتها مرة أو سمعتها ، الا ولمست فيها العزة ، ورأيت فيها الكرامة ، واستشففت منها أسمى معاني الكبرياء قال : والله لانسين الروم وسأوس الشيطان بخالد بن الوليد ، وكتب الصديق لخالد : سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك فانهم قد شجوا واشجوا (٢) .



(١) اذيل لنا على اهدائنا ، اي نصرنا عليهم ، وكانت الدولة لنا .
(٢) أي ان المسلمين ضاقوا بعدوهم ، وضيقوا عليه ، والشجاء : الفصص ، فكان بعضهم لبعضهم كالشجاء في الحلق .

الطريق إلى الشام

« خالد : ان المسلم لا ينبغي له
ان يكثرث لشيء يقع فيه مع معونة
الله له ... » .

— من اين الطريق الى الشام ؟ فخالد بحاجة الى طريق
قصير امين !

كان على خالد ان يختار بين طرق عدة :

١ — اما ان يتخطى البادية من « عين التمر » الى شمال الشام ،
ولكنه طريق — مع قصره — خطير حيث كان العرب في تلك الجهات
موالية لهرقل ، فلاشتباك معهم يؤخر الجيش وبرهقه .

٢ — ان ينحدر الى الجزيرة العربية ثم يسير بنفس طريق
مكرمة وابي عبيدة ، فهو طريق آمن لا تحفه المخاطر — كالطريق
الاول — الا انه طويل ، فيمنع خالد من سلوكه تشوقه للوصول
حيث نجدة المسلمين ولقاء الروم .

٣ — ان ينحدر بجيشه من « عين التمر » الى « دومة الجندل »
وهذا طريق سلكه خالد سابقا فعرفه ايام غزوة تبوك ، وعرفه
يوم نجدة « عياض بن غنم » وهو الطريق البعيد عن المخاطر

— وخاصة خطر القبائل الموالية لهرقل فاذا قابلهم أضاع الوقت معهم وتأخر — فسلك خالد هذا الطريق ، جاء من « عين التمر » الى دومة الجندل ثم الى وادي السرحان فتوقف وقال : كيف لي بطريق أخرج فيه من وراء جمع الروم ، فاني ان استقبلتها حبستني عن غياث المسلمين ، فأجابه رجاله : ابنا لا نعرف الا طريقا لا يحمل الجيوش وانما يأخذ الفذ الراكب ، فايالك أن تغرر بالمسلمين ، اي ، ليس في هذا الطريق مياه كافية ، تفني بحاجة جيش عدده تسعة آلاف .

هذا تحذير له خطورته ... ولكن عزيمة خالد تذلل مشقة وخطورة هذا الطريق ، ان ارادة خالد تقوى وتزيد وتشتد بزيادة الصعاب حتى تذللها ، فأجاب خالد رجاله : لا يختلفن هديكم ، ولا يضعفن يقينكم ، واعلموا ان المعونة تأتي على قدر النية ، والاجر على قدر الحسبة ، وان المسلم لا ينبغي له ان يكثر ثلشيء يقع فيه مع معونة الله له » .

فأثارت كلمات خالد هذه ، حمية جنده فقالوا في تسليم المستيقن ان المعونة من الله : « انت رجل قد جمع الله لك الخير فشأنك » . فطلب خالد من رافع بن عميرة الطائي ان يقود الناس ، فقال رافع : (انك — يخاطب خالد — تطيق ذلك بالخيال والانفال ، والله ان الراكب المفرد يخشى فيها على نفسه ، انها لخمس ليال لا يصاب فيها ماء) ، وعلى الرغم من ذلك ، وعلى الرغم من كلام رافع ، عاد خالد يؤكد ما استقر عليه رايه : « لا بد والله من ذلك فمر بأمرك » .

وسقط في يد رافع ، ولم يجد مفرا من التنفيذ ، فقال :
 « استكثروا اذن من الماء من استطاع منكم ان يصرا اذن ناقتة على
 الماء فليفعل ، فانها المهالك الا مادفع الله ، وهكذا نرى ان الطريق
 خطير ، ولكن خالدا ورافعا بقي قلباهما متعلقين بالله وبفضله
 للخلاص من هذه الطريق بخير وسلام .

وجاءوا بابل سمان(١) وظمأوها ثم اوردوها الماء ، فلما امتلأت
 صروا آذانها وشدوا مشافرها(٢) لثلاث تجتر ، وانطلق الجيش بقيادة
 سيف الله وارشاد رافع بن عميرة .

وكانت رحلة يكفي وصفها بكلمة « قاسية » ...

فكان الجند كل يوم ينزلون عن خيلهم ، فيأكلون ويشربون ثم
 يشقون بطون الابل ويخرجون منها الماء فيسقون الخيل ، وفي
 اليوم الخامس نادى خالد على رافع : « ويحك يارافع ما عندك ؟ »
 فقال رافع : « خير ادركتم الري ان شاء الله وانتم على الماء » ثم
 قال رافع : « ايها الناس ، انظروا علمين(٣) كأنهما ثديان » ، فلما
 اتوهما قال : « انظروا هل ترون شجرة من عوسج كقعدة الرجل ؟ »
 قالوا : « ما نراها » ، قال : « انا لله وانا اليه راجعون ، هلكم
 اذن والله وهلكتم .. لا ابا لكم ... اضربوا يمنة ويسرة » فنظروا
 فوجدوا الشجرة وقد قطعت وبقيت منها بقية ، فقال رافع :
 « احفروا في اصلها » فحفروا ونبع الماء ، فقال رافع عندما نبع

(١) وعددها عشرون جزورا .

(٢) مشافرها : مفردا مشفر بكر الفاء وهي شفة البعير .

(٣) علمين : جبلين .

الماء : « والله ما وردت هذا الماء قط الا مرة واحدة مع ابي وانا غلام » (١) ، شرب الجند ، وكيف لا يهتدون الى الماء وعين العناية الالهية ترعاهم وتكلاهم ؟!... فهم جند الله الاخيار ، قلوبهم معه وارواحهم منورة بنوره .

تقدم خالد بجيشه فدخل « سوى (٢) » ثم الى تدمر ، وانحدر الى « اذرعات » واغار على غسان في مرج راهط . واتصل بأبي عبيدة وشرجيل ويزيد على قناة بصرى وتقدمهم واقتحموا جميعا بصرى ، ثم ساروا جميعا الى فلسطين مددا لعمر بن العاص ، واكمل عقد المسلمين جميعا عند اليرموك .

ومما يجدر ذكره ان خلافا وقع بين المؤرخين عند كتابة تاريخ هذه الفترة فقد روى الازدي والبلاذري والواقدي ان اليرموك هي آخر المعارك في بلاد الشام ، اي حصار دمشق وحمص وموقعة اجنادين قد تم هذا كله قبل اليرموك ، ويخالف هذا ما ذكره الطبري

(١) ومما قيل عند وصول المسلمين الى الماء :

الله در رافع انى اهتدى فوز من قراقر الى سوى
خمسا اذا ما سارها الجيش بكى ما سارها قبلك انسى يرى

(٢) ومما يذكر قبل دخول « سوى » ان اهالي سوى جلس يغني ويشرب والناس من حوله : ومما قاله هذا المغني المخمر :

الا عللاني قبل جيش أبي بكر لعل منايانا قريب وما نندري
الا عللاني بالزجاج وكروا على كمييت اللون صافية تجري
الا عللاني من سلافة قهوة تسلي هموم النفس من جيد الخمر
اظن خيول المسلمين وخالدا ستطرقكم قبل الصباح من البشر
فهل لكم في السير قبل قتالهم وقبل خروج المعصرات من الخدر

والمعصرات : الجواري التي في العشرين . ويقول اهل « سوى » ان مغنيهم هذا قتل فعلا عند دخول خالد للمدينة ، وسال دمه في جفنة الخمر التي كان يشرب بها.

في تاريخه ، والارجح هو الرأي الاول ، حيث أن ابا عبيدة ويزيد
نزلوا عند قدميهما من الجزيرة شمال اليرموك ، فالفترة التي قضوها
هناك قبل اليرموك ، كانوا فيها في فتح باتجاه الشمال حتى حاصروا
دمشق قبل اليرموك ، ثم انسحبوا جميعا - الى اليرموك - للتجمع
مع الاووية الاخرى . وان كان خالد وابو عبيدة سيحاصران دمشق
بعد اليرموك ، خالد على الباب الشرقي وابو عبيدة على باب الجابية .

فرح المسلمون بخالد وزاد جدهم وبقينهم بالنصر ، واشتد غضب
الروم بمجيئه ، ولما علم هرقل بمجيء خالد (رضي الله عنه وارضاه)
جمع اصحابه وقال : ألم أقل لكم لا تقاتلوهم ، فانه لا قوام بكم على
هؤلاء القوم ، ان دينهم دين جديد ، يجدد لهم ثبارهم (١) ، فلا يقوم
لهم احد حتى يبلى ؟ . فغضب اصحابه وقالوا له : « قاتل ولا تجبن
الناس ، واقض الذي عليك » ، ونلاحظ هنا ان هرقل في اليرموك
يمثل دور رستم في القادسية ، معنوياته منهارة ، ولكن هرقل علم
انه لا قبل له بهؤلاء الابطال فقال : « أرى من الرأي الا تقاتلوا هؤلاء
القوم ، وأن تصالحوهم ، فوالله لان تعطوهم نصف ما أخرجته
الشام ، وتأخذوا نصفه وتقر لكم جبال الروم خير لكم من ان يغلبوكم
على الشام ويشاركوكم في جبال الروم » . كيف لا يقول هرقل هذا
وهو اعلم بنفسيات جنده المحطمة ، فقد قال له كبار قواده عندما
كان في فلسطين : « لقد أتتك العرب وجمعت لك جموعا عظيمة ،
وهم يزعمون ان نبهم الذي بعث اليهم اخبرهم انهم يظهرون
على اهل هذه البلاد ، وقد جاءوك وهم لا يشكون ان هذا يكون ،

(١) نبار : المواظبة والنبات .

وجاءوك بأبنائهم ونسائهم تصديقا لمقالة نبهم ، يقولون : لو دخلناها
وافتحناها نزلناها بأولادنا ونسائنا « فقال لهم هرقل وقتئذ :
« ذلك أشد لشوكتهم ، اذا قاتل القوم على تصديق فما أشد على
من كادهم أن يزيلهم أو يصدhem » .

ومما زاد في حيرة هرقل وارتابكه وحيرة جنده وارتابكهم :
انه اشاع بعض الروم في بلاد الشام - وهم متيقنون ، كأنهم يصفون
شيئا مشهادا - ان خالدا في يده سيف نزل من السماء ، أعطاه له
رسول الله ، فلا يقاتل به قوما الا انتصر عليهم . اليست هذه
الكلمات كافية ليجد الرعب مسكنا مناسبا له في قلوب الروم ؟ .

الجو مهيا لبدء المعركة فالطرفان اتخذا استعداداتهما ، الروم
في اربعين ومائتي الف ، منهم ثمانون الف مقيد بالسلاسل كي
لا يفرون أثناء المعركة ، والمسلمون : سبعة وعشرون الفا ممن كان مقيما ،
الى ان قدم عليهم خالد في تسعة آلاف فبلغوا : ستة وثلاثين الفا .
ومما يذكر : ان الصديق في هذه الاثناء مرض وتوفي للنصف من
جمادى الآخرة قبل الفتح بعشر ليال .



اليرموك

عام (١٣ هـ
٦٣٤ م)

معركة حاسمة في تاريخ هذه الامة
تحتاج الى قائد جسور جريء ، لا يعرف
في حربه هوانة ، او ترددا او احجاما ،
تحتاج الى قائد لا يهاب الموت ، ولا
يحسب له حسابا ، بل لا يخطر بذهنه ،
وانما يفكر ويقرر ويضرب وينتصر ...
وكلمة الصديق تكفي : « خالد لها » ..

استعدادات :

● قدم خالد من العراق بسرعة خاطفة يمكن اعتبارها بحق في غاية الاعجاز والحنكة ، فوجد المسلمين يقاتل كل منهم متساندا مع الآخر ، لكل أمير جنده ، لا يجمعهم أحد ، بل عسكر أبي عبيدة يجاوره عسكر عمرو بن العاص ، وعسكر شرحبيل مجاور لعسكر يزيد بن أبي سفيان . ولما جاء خالد عسكر على حده ، وصلى بأهل العراق ، وجرت اشتباكات ليست فاصلة مع أن بعضها جعل الروم يتراجعون الى « الواقصة » فلزموا خندقهم عامة شهر يحضهم الرهبان حتى خرجوا للقتال في جمادى الآخرة .

احس خالد بخروجهم متساندين لقتالهم ، فسار خالد بين المسلمين وقال بعد ان حمد الله واثنى عليه : « ان هذا يوم من أيام الله ، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي ، اخلصوا جهادكم ، وأريدوا الله بعملكم ، فان هذا يوم له ما بعده ، ولا تقاتلوا قوما على نظام وتعبية ، على تساند(١) وانتشار ، فان ذلك لا يحل ولا ينبغي . وان من وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا ، فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذي ترون انه الراي من واليكم ومحبتة » . قالوا : « هات ، فما الراي ؟ » قال رضي الله عنه : « ان أبا بكر لم يبعثنا الا وهو يرى أنا سنتياسر ، ولو علم بالذي كان ويكون ، لجمعكم ،

(١) تساند : أي على رايات شتى ولم يجتمعوا على راية واحدة أو تحت راية أمير واحد .

ان الذي انتم فيه اشد على المسلمين مما قد غشيه ، وانفع
 للمشركين من امدادهم ، ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم ، قاله
 الله ، فقد أفرد كل رجل منكم ببلد من البلدان لا ينتقصه منه ان
 وان لاحد من أمراء الجنود ، ولا يزيده عليه أن دانوا له ، ان تأمر
 بعضكم لا ينتقصكم عند الله ولا عند خليفة رسول الله صلى الله عليه
 وسلم . هاهوا فان هؤلاء تهيووا ، وهذا يوم له ما بعده ، ان رددناهم
 الى خندقهم اليوم لم نزل نردهم ، وان هزمونا لم نفلح بعدها .
 فهللوا فلنتعاور (١) الامارة ، فليكن عليها بعضنا اليوم ، والآخر غدا ،
 والآخر بعد غد ، حتى يتأمر كلكم ، ودعوني اليكم اليوم » .

فأمره ، وهم يظنون ان الامر سيطول وسيطولون الامارة
 بالداول ، علم خالد ان القتال كل بفرقة سيطول ، وفيه اضعاف
 الجهود ، وتبذير في القوى ، وهدر للتكاتف ، فأراد التوحيد تحت
 امرة امير واحد وكأنه الهم ان المعركة لن تطول اذا توحدت الفرق ،
 واذا تولى هو القيادة ، بحنكته ودهائه الحربي ، وسيرى الجميع ان
 هذه الوحدة في القيادة ، وفي وحدة الصف هذه ، نتائج اولها
 النصر ، وفي يوم واحد على الاكثر . وكيف لا يكون النصر السريع
 نافلة الحرب هو قائد المعركة ؟ .

● ومما حطم معنويات الروم قبل المعركة ان قائدهم أرسل
 رجلا من قضاة يقال له ابن هزراف ، فقال له : ادخل في هؤلاء
 القوم — يعني جيش المسلمين — فأقم فيهم يوما وليلة ، ثم ائتني

(١) تعاور : تداول . والمراد ان يستلم القيادة العامة كل منهم فترة معينة .

بخبرهم . فدخل ابن هزارف في جيش المسلمين فأقام يوماً وليلة، ثم رجع الى قائد الروم فقال له القائد: ما وراءك ؟ قال : بالكيل رهبان ، وبالنهار فرسان ، ولو سرق ابن ملكهم قطعوا يده ، ولو زنى رجم ، لاقامة الحق فيهم ، فقال القائد : لئن كنت صدقتني لبطن الارض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها ، ولوددت أن حظي من الله ان يخلى بيني وبينهم ، فلا ينصروني عليهم ، ولا ينصرهم علي (١) .

فكان أمثال هؤلاء العيون عوناً للمسلمين على النصر ، فكلما رجع عين منهم الى جيش الروم ، ما تكلم كلمة الا ثبَّطَ همم جند الروم ، وجعل في انفسهم اليأس من النصر .



(١) هذا القائد هو « القبقلاق » (يضم القاف والباء) وهو قائد جانب من جيش الروم ، وورد عنه في الطبري ، انه لما رأى من قتال المسلمين مغراى ، قال للروم : لفوا رأسي بثوب ، قالوا له : لم ؟ قال : يوم بثيس ، لا أحب ان اراه ! ما رأيت في الدنيا يوماً أشد من هذا ! فاحتز المسلمون رأسه ، وانه للنف .

نظام الكراديس

« نظام : مرن الحركة سريعها ،
يرتبط الجندي فيه بأمره ، ويرتبط
الأمير بالقائد العام ... » .

عباً خالد الجيش تعبئة لم يعبئها العرب قبلاً ، اخرجت ذهنيته
الحربية نظاماً رائعاً جديداً ، لا ندري من أين أخذه ، ولا ندري في
أي « كلية حربية » درسه ، إلا أن يكون اختراعه ، فأحكم الخطة
وسدد خطاها ، ورتب الأمور لها ترتيب البصير الخبير في الحرب
وفنونها .

ورتب خالد الجيش — ولأول مرة في تاريخ هذه الأمة — ترتيباً
بجمله مرن الحركة سريعها ، مرتبطاً جنديه بأمره ، وأمره بالقائد
العام . قسم الجيش إلى أربعين كردوساً (١) وقال : « أن عدوكم
قد كثر وطفى ، وليس من التعبئة تعبئة أكثر من رأي العين من
الكرداديس » . والكرداديس هذه ثلاثة أقسام : قلب ، وميمنة ،
وميسرة ، حسب التوزيع التالي :

(١) وفي رواية ستة وثلاثين كردوساً ، والكردوس : القطعة العظيمة من الخيل ،
ويقال كردس القائد خيله ، أي جعلها كتيبة منه ، والمعنى هنا : قسم خالد الجيش
إلى كتائب كبيرة ، « وكردوس : بضم الكاف » .

١ - أبو عبيدة قائد لكراديس القلاب ومعه ثمانية عشر كردوسا ،
على هذه الكراديس الامراء التالية أسماؤهم :

- ٢ - الققعقاع بن عمرو - على كردوس من كراديس اهل العراق .
- ٣ - مذعور بن عدي .
- ٤ - عياض بن غنم .
- ٥ - هاشم بن عتبة .
- ٦ - زياد بن حنظلة .
- ٧ - دحية بن خليفة .
- ٨ - امرؤ القيس .
- ٩ - يزيد بن يحيى .
- ١٠ - أبو عبيدة بن الجراح .
- ١١ - عكرمة بن أبي جهل .
- ١٢ - سهيل .

١٣ - عبد الرحمن بن خالد - وهو يومئذ ابن ثمانى عشرة سنة (١) .

- ١ - حبيب بن مسلمة .
- ١٥ - صفوان بن أمية .
- ١٦ - سعيد بن خالد .
- ١٧ - أبو الاعور بن سفيان .
- ١٨ - ابن ذى الخمار .

(١) يذكرنا هذا « بجيش أسامة » ، ألم نقل ان الاسلام يقدر الشباب ، ويجعل لهم مكانة خاصة تليق بحيويتهم وشبابهم ، خاصة اذا نظم الايمان هذه الحيوية ؟! .
ليس لشباب هذه الامة قدوة بعبد الرحمن بن خالد ؟! .

١٩ - وعلى كراديس الميمنة عمرو بن العاص ومعه أحد
مشر كردوسا ، على هذه الكراديس الامراء التالية أسماؤهم :

٢٠ - عمارة بن مخشى بن خويلد .

٢١ - شرحبيل بن حسنة .

٢٢ - خالد بن سعيد .

٢٣ - عبد الله بن قيس .

٢٤ - عمرو بن عبسنة .

٢٥ - السمط بن الاسود .

٢٦ - ذو الكلاع .

٢٧ - معاوية بن حديج .

٢٨ - جندب بن عمرو بن حممة .

٢٩ - عمرو بن فلان .

٣٠ - لقيط بن عبد القيس بن بجرة .

٣١ - وعلى كراديس الميسرة يزيد بن أبي سفيان ومعه تسعة

كراديس ، على هذه الكراديس الامراء التالية أسماؤهم :

٣٢ - الزبير بن العوام - فارس رسول الله .

٣٣ - حوشب ذو ظليم .

٣٥ - عصمة بن عبد الله .

٣٦ - ضرار بن الأزور .

٣٧ - مسروق بن فلان .

٣٨ - عتبة بن ربيعة .

٣٩ - جارية بن عبد الله شجعي .

٤٠ - قباث بن أشيم .

اما القاضي فكان ابو الدرداء (١) ، وكان القاص ابو سفيان بن حرب ، يحمس الناس على الروم ، وكان على الطلائع : قباث بن اشيم ، وكان على الاقباض (٢) عبد الله بن مسعود ، وكان القاريء « المقداد بن عمرو (٣) » وكانت السنة التي سنّها رسول الله (ص) بعد بدر أن تقرأ سورة الجهاد عند لقاء العدو وهي سورة الانفال ، ولم يزل الناس بعد ذلك على ذلك ، لماذا اقتفى النبي هذه السورة؟.



(١) وهو عويمر الخزرجي وضريحه في « باب صغير » وله مسجد في قلعة دمشق . راجع كتاب الزيارات « للقاضي محمود العدوي في المكتبة الظاهرية بدمشق ، رقم (و - ٩٦٨٣) .

(٢) الاقباض : جمع قبض ، وهو ما يجمع من الفنائم .

(٣) قال عمر بن الخطاب عن المقداد : إنه مقام الف رجل .

سورة البجاد

منقذ

سورة الانفال (٧٥/٨ آية)
انها الروح المناسبة للموقف
المناسب ...

اختار النبي (ص) في بدر هذه السورة لانها تنطق بالروح المناسبة في المكان المناسب ، انها سورة الحرب والحماس والدار الحرة ولقاء الله . ويمكن ان نستخلص منها المعاني التالية :

١ - تذكر هذه السورة المجاهدين بالايمان وبلقاء الله فترخص الارواح عند لقاء العدو : « **انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون** » (٢) .

٢ - تذكر بوعده الله لعباده المؤمنين ، فهم ليسوا وحدهم في المعركة ، الله وملائكته معهم : « **اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني معدكم بالف من الملائكة مردفين** » (٩) .

٣ - الاعتماد على الله لتحقيق النصر فيجب الرجوع اليه بعد هزيمة الاسباب واخذ الاستعدادات التامة للقاء العدو ، اذ في السورة معها « **واعدوا لهم ما استطعتم من قوة** » (٦٠) ، اما المعنى الاول فيوضح في الآية : « **وما جعله الله الا بشري ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم** » .

٤ - الاقتناع بان الله مضعف وموهن قلوب الكافرين ، وبالمقابل مثبت ومقور قلوب المؤمنين : « اذ يوحى ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا فيهم كل بنان » (١٢) .

٥ - توضح السورة عقوبة الفرار من الزحف ليحذرها المؤمن بل كي لايفكر بها ، فمن وجد في جيش الايمان لا يفكر الا في النصر او في الشهادة ، اما الادبار فمنسوخ من معجم الاسلام : « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ، ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير » . (١٥ و ١٦) .

٦ - أمل المؤمنين بالنصر الاكيد : « ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم ، وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فتنكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المؤمنين » (١٩) .

٧ - تذكير المؤمنين باكرام الله لرسوله عندما خرق العوائد لتخليصه من قريش عند الهجرة ، والله هو الله ، وما زال هو القادرعلى ان ينصرهم رغم كثرة الاعداد وقلة عددهم : « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين » (٣٠) .

٨ - تذكير المؤمنين انهم لا يقاتلون الا كي تكون كلمة الله هي العليا ولنشر الاسلام اولا وآخرا : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصيري » (٣٩) .

٩ - في السورة دعوة الى التكاتف والتعاون والمحبة والاتحاد والصبر ولضمان النصر والفوز : « واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين » (٤٦) .

١٠ - الايمان والروح المعنوية الخاصة التي يجب ان يكون عليهما المؤمنون وعدم الاكتراث بالقلة والكثرة ، عدم النظر بقلة رجال الايمان ولكثرة عدد الكافرين « يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون » (٦٥) . وتشير لهذا المعنى ايضا الآيات ٤٣ - ٤٤ .

١١ - تنبه آيات السورة المؤمنين الى خطر المنافقين للخطر منهم : اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم » (٤٩) .

١٢ - تنص الآيات في السورة على احترام اليهود والمواثيق التي يعقدها المؤمنون مع اعدائهم ، مع الجنوح الى السلم اذ ليست الغاية اراقة الدماء ، بل نشر الدعوة بأقل كمية دماء ممكنة ، حفاظا على ارواح الشعوب ولكي تبقى هذه الحروب انسانية محررة :

« واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين » (٥٨)

« وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم » (٦١) .

١٣ - توضح السورة في آياتها كيفية توزيع الغنائم :
« واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي
القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » (٤١) .

١٤ - تذكر الآيات بأن الاعداء سيهزمون لفسقهم وذنوبهم كما
هزم فرعون : « كذب آل فرعون والذين من قبلهم ، كذبوا بآيات
ربهم فأهلكناهم بنزولهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين » (٥٤) .

١٥ - تذكر الآيات المجاهد بالثواب الكبير الذي ينتظره : « والذين
آمَنُوا وهاجَرُوا وجاهَدُوا في سبيل الله والذين آوَوْا ونصروا أولئك
هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم » (٧٤) .

هذا جزء يسير مما تدل عليه السورة ، ففيها من المعاني ما لا
يسمح مجال الكتاب لذكره ، اكتفيت بذكر ما سبق - ١٥ - بندا -
وهي كافية لتعطينا فكرة ولو بسيطة عن قيمة قراءة هذه السورة
وعن سبب اختيار النبي (ص) لها وعن سبب تسميتها ، قرئت
هذه السورة في اليرموك من قبل المقداد بن عمرو وما أدراك من
« المقداد » انه بألف رجل في ايمانه وقوته ، فستشع هذه المعاني
في الآيات نورا في قلوب المجاهدين بعد ان تهضمها ارواحهم
فترشح في الاعضاء قوة وعزيمة ، انها : **سورة الجهاد** ... فضلى
الله على من اختارها وسنها لمثل هذه المواقف .

قبيل المعركة

انما تكثر الجنود بالنصر ..
وتقل بالخذلان ...

شهد اليرموك الف من اصحاب رسول الله (ص) فيهم نحو
ن مائة من اهل بدر ، وكان ابو سفيان يسير فيقف على الكراديس
يقول : « الله ... الله ... انكم ذادة العرب وانصار الاسلام ،
انهم ذادة الروم وانصار الشرك ! اللهم ان هذا يوم من ايامك ،
لهم انزل نصرك على عبادك » .

بينما خالد يرتب الجند ويفتش بينهم فقال رجل له : « ما اكثر
روم واقل المسلمين ؟ » .

فقال خالد : « ما اقل الروم واكثر المسلمين ، انما تكثر الجنود
تنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال » . ثم نطق بكلمات خالدة
لود الزمن ، كلمت ما قالها انسان قبله وما قالها انسان بعده ،
لها وهو صادق فيما يقول ، ويعي ما يتحدث ، انها عزيمة الصديق
صدق العزيمة ، انها قوة الايمان ، وايمان القوة . قالها خالد
كفينا ان تقول : انه خالد قالها فندع للخيال فسحة ليفكر بهذه
خصية التي عجزت النساء ان تلد مثلها ، ماذا قال ؟ اقسم بالله
ال : « والله لو ددت ان الاشقر براء من توجيهه ، وانهم اضعفوا

العدد» . هذه الكلمات تعكس نفسية المؤمن الذي هذب نفسيته
محمد بن عبد الله (ص) النبي الامي الذي اذبه الله فأحسن تأديبه .

ماذا تعني هذه الكلمات ؟

الاشقر من الخيل : الخيل التي فيها حمرة صافية ، يحمر
معها العرف والذنب ، أما وجي الفرس وتوجى : أي اصيب بالوجا ،
وهو أن يشتكي الفرس باطن حافره ، أي أن فرس خالد الاشقر
مصاب في حافره وذلك عند مجيئه من العراق .

وهذه الكلمات تعني بوضوح بعد اجراء معادلة بسيطة ما يلي :
جيش الروم ٢٤٠ الف ، فلو أضعفوا العدد لاصبحوا ٤٨٠ الف ،
والاشقر سليم معافى ، اذن في تربية هذه الامة أصبح خالد
لا يعادل ربع مليون من الروم ، لا بل فرسه « الاشقر » يعادل =
٢٤٠ الف رجل من الروم ، فاذا كان فرس خالد بهذه القيمة ،
فما قيمة خالد ؟ هل نقول الملايين ؟ ..! الله اكبر يا امة الاسلام كيف
نهضت ؟ كيف تقدمت ؟ كيف فتحت الدنيا ؟ .. لا ، لا غرابة
فشعب بهذه الروح وبهذه المعنويات بهذه الافكار لو بقي لفتح الدنيا
كلها ، بل لانطلق عبر الفضاء ولعله يرى في العوالم خلقا فيبلغهم
دعوة محمد . الا يحق لنا اذا سمعنا بخالد وامثاله من ابطالنا ان
نطأطأ رؤوسنا اجلالا ، وترف القلوب فرحا وتحنو اليهم الروح
عشقا ومحبة ، لقد ألهمت كلمات خالد حماس المجاهدين فثشقوا
الى الشهادة فسينطلقون بعد قليل كالسهام الى صدور الاعداء .
بهذه الهمة ، وهذه الثقة ، أمر القائد العام الكراديس كلها أن

تنشب القتال ، أمر القمعاق وعكرمة وكانا على جناحي القلب فأنشبا
القتال ، تقدم القمعاق الذي راينا بطولاته في القادسية في الجزء
الاول من هذه السلسلة - طربا يرتجز :

يا ليتني القاك في الطراد

قبل اعترام الجحفل الورد

وانت في حلبتك الوارد

نشب القتال والتحم الناس ، وتطارد الفرسان ، وبينما هم
على ذلك اذ قدم البريد من المدينة المنورة ، فأخذته الخيول ، وسأله
الخبر ، فلم يخبرهم الا بخير ، واخبرهم عن امداد ، ولكن البريد
جاء بوفاة ابي بكر رضي الله عنه - في يوم الاثنين ٢٢ جماد الآخرة
١٣ هـ وتأمير ابي عبيدة ، فأبلغ الامر خالدا ، واخبره بوفاة ابي بكر،
واخبره بأن الجند لم تخبر بعد ، فقال لحامل البريد : « أحسنت
فقف » واخذ الكتاب وجعله في كنانته - حيث بضع شعرات
مباركات من شعرات رسول الله يتبارك خالدا بها قبل بداية كل حرب
- وخاف أن هو اظهر ذلك أن ينتشر الامر في الجند ، فوقف محمية
ابن زعيم مع خالد ، وهو الذي جاء حاملا البريد ، وهكذا جاء عزل
خالد وتأمير ابي عبيدة وبقي الامر سرا كي لا تضعف معنويات
الجند ، وليتم خالد خطته التي رتبها ، وما هي الا ساعات يحقق

(١) وقال عكرمة :

قد علمت بهكة الجواري اني على مكربة احاسي
والبهكة : الجارية الخفيفة الروح الطيبة الرائحة المليحة الحلوة ، انه فزل
ملري ، وفخر وامتزاز بالجهاد .

الله النصر فبعدها سيقاتل خالد جنديا كما-قاتل قائدا مادام انه
يقاتل لله وحده ، وفي سبيله .

خرج في هذه الاثناء من بين صفوف الروم « جرجة (١) » حتى
كان بين الصفيين ، ونادى : ليخرج الي خالد . فخرج اليه خالد
دون تردد ، واقام ابا عبيدة مكانه ، فوافقه بين الصفيين ، حتى
اختلفت اعناق دابتيهما ، وقد أمن أحدهما صاحبه .

فقال جرجة : « ياخالد اصدقني ولا تكذبني فان الحر لا يكذب ،
ولا تخادعني فان الكريم لا يخادع المسترسل بالله ، هل انزل الله على
نبيكم سيفا من السماء فأعطاكه ، فلا تَسْلُهُ على قوم الا هزمتهم ؟ » .
خالد : « لا » .

جرجة : « فيم سميت سيف الله ؟ » .

خالد : « ان الله عز وجل بعث فينا نبيه صلى الله عليه وسلم ،
فدعانا فنفرنا عنه ونأينا عنه جميعا . ثم ان بعضنا صدقه وتابعه ،
وبعضنا باغده وكذبه ، فكنت فيمن كذبه وباعده وقاتله ، ثم ان الله
أخذ بقلوبنا ونواصينا ، فهدانا به ، فتابعناه ، فقال : انت سيف من
سيوف الله سلته الله على المشركين ! ودعالي بالنصر ، فسميت سيف
الله بذلك ، فانا من أشد المسلمين على المشركين .

(١) جرجة : بفتح ج ، كذا ضبطه صاحب القاموس ، وقال : « اسم مقدم
عسكر الروم يوم اليرموك » .
ومما يذكر انه كان يجيد اللغة العربية . أما اسمه في المراجع العربية فهو :
جورج بن تيودور .

جرجة : صدقتني ، ثم اعاد عليه جرجة : « ياخالد ، اخبرني الام تدعوني ؟ » .

خالد : الى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، والاقرار بما جاء به من عند الله .

جرجة : « فمن لم يجبكم ؟ » .

خالد : « **فالجزية (١)** ونمنعهم » .

جرجة : « فان لم يعطها ؟ » .

خالد : « تؤذنه بحرب ، ثم نقاتله » .

جرجة : « فما منزلة الذي يدخل فيكم ويحببكم الى هذا الامر اليوم ؟ » .

خالد : « منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا ، شريفنا ووضيعنا ، وأولنا وآخرنا » .

جرجة : « هل لمن دخل فيكم اليوم ياخالد مثل مالكم من الاجر والذخر ؟ » .

خالد : « نعم ، وأفضل » .

جرجة : « وكيف يساويكم وقد سبقتموه ؟ » .

(١) كلمة « الجزية » تفسرها كلمة « نمنعهم » ، ان الجزية تدفع مقابل حماية المسلمين للدميين ، وان لم يحققوا الحماية فيرجعوا الجزية لاصحابها ، كما حدث مع ابي عبيدة وأهل حمص . « سنفصل هذه الجاذنة في الجزء الاخير من هذه السلسلة ان شاء الله » .

خالد : « انا دخلنا في هذا الامر ، وبايعنا نبينا صلى الله عليه وسلم وهو حي بين أظهرنا ، تأتية أخبار السماء ويخبرنا بالكتب ، ويرينا الآيات - المعجزات - وحق لمن رأى مثل ما رأينا ، وسمع ما سمعنا ، ان يسلم ويبايع ، وانكم انتم لم تروا ما رأينا ، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج ، فمن دخل في هذا الامر منكم بحقيقة ونية كان افضل منا » .

جرجة : « بالله لقد صدقتني ولم تخادعني ولم تألفني ! » .

خالد : بالله ، لقد صدقتك وما بي اليك ولا الى احد منكم حاجة ، وان الله لولي ما سألت عنه » .

جرجة : « بالله لقد صدقتني ولم تخادعني ولم تألفني ! » .

« علمتني الاسلام » . فمال به خالد الى فسطاطه (١) ، فشن (٢) عليه قربة من ماء ، ثم صلى ركعتين بعد ان علمه خالد الصلاة ، وحملت الروم مع انقلابه الى خالد ، وهم يرون انها منه حملة ، فأزالوا المسلمين عن مواقفهم الا المحامية ، عليهم عكرمة والحارث بن هشام ، وركب خالد ومعه جرجة والروم خلال المسلمين ، فنادى الناس ، فثابوا ، وتراجعت الروم الى مواقفهم .

ولا يحق لنا ان نصف المعركة في احتدامها ، ونخوض غمارها فكريا مع صحابة رسول الله قبل ان نلقي أضواء على بعض فقرات حوار خالد وجرجة ونستخلص منها أشياء وأشياء منها :

(١) الفسطاط : البيت من الشعر ، « بفتح الشين والعين » .

(٢) شن : شن عليهم الغارة ، أي فرقها عليهم من كل وجه ، والمراد هنا انه سكب عليه الماء من كل جهة على جسمه لكي يتطهر جرجة قبل صلاته .

١ - تواضع سيف الله خالد عندما قال : فانا من أشد المسلمين على المشركين » ولم يقل « أنا أشد المسلمين على المشركين » فكلمة (من) جعلت الجملة تفهم جرجة ان في الجيش كثر من أمثال خالد .

٢ - الحوار الذي دار ، اسلوب جميل للدعوة الى الله ، دعوة الى معروف بمعروف ، ببساطة ووضوح ، فلنتمعن بكلمات خالد التالية : « الى شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ، والاقرار بما جاء به من عند الله » و « منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا ، شريفنا ووضيعنا ، واولنا وآخرنا » وجوابه رضي الله عنه لجرجة عندما سأله عن أجره اذا دخل في الاسلام متأخرا الآن فقال له : مثل أجرنا و « افضل » . ثم قال خالد : « فمن دخل في هذا الامر منكم بحقيقة ونية كان افضل منا » . فكل هذه الكلمات توضح تواضع الداعي وترغيب المدعو الى الله والاسلام ، واشعاره حقا ان الاسلام لمن صدق لا لمن سبق ، فان آمن الآن فله ما لنا وما علينا وثوابه وذخره كثوابنا وذخرنا . فهذا هو اسلوب الدعوة الناجح ... ترغيب ووضوح ولين ومعروف وبساطة ...

٣ - توضح الفقرات احترام خالد التام لرسول الله وان ايمانه بعد غزوة الاحزاب « أو الخندق » كان عن ايمان برسول الله واقتناعه أنه الرسول الصدوق المصدق وهذه هي الادلة : « يرينا الآيات وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا ، ان يسلم ويباع » ، « ان الله اخذ بقلوبنا ونواصينا ، فهدانا به ، فتابعناه » .

- يدل الحوار الى شيء غفل او تغافل عنه كثيرون ، الا وهو :

لو ترك الملوك الدعوة الاسلامية وخلوا بينها وبين شعوبهم ، لجرت مثل هذه المناقشات ، فترى الشعوب بساطة ووضوح العقيدة الجديدة ، ومساواتها بين أميرها ووضيعها ومساواة حامل الدين الذي أسلم قبل سنوات وبين من سيسلم حديثا ، كلهم أخوة وحقهم واحد ، وثوابهم واحد ... ولدخلت في دين الله هذه الشعوب ، وتحررت من انصاف الآلهة ، وسيطرتهم دون قتال ، فالقتال ليس غاية في ذاته ، بل هو وسيلة لا غاية ، الشعوب ليست هي التي يحاربها جيش الفتح ، بل السلطة المسيطرة الظالمة ، والهدف الاول والاخير ايصال العقيدة الى الشعوب لترى عدالتها ومساواتها ووضوحها وحب النفس لها واقتناع العقل بها وأنى للذوق السليم اذا لعق عسلا ألا يتعلق به ؟ ولو قيل له سابقا انه مر نتن ؟ .

.. « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » رحمة للعالم أجمع صلى الله عليه وسلم .



بطولات خلال المعركة

● كم منادٍ صاح يقول : « من
يباع على الموت ؟ » فيسمعها المجاهدون
أثناء اشتداد القتال ، فيجيب الكثيرون :
نحن نباع ، فتتقدم كتائبهم - كتائب
الفدائيين - فتحقق البطولات والمجرات

نظر المسلمون الى رايات الروم تقترب منهم وتدنو ، فقال ابو
عبدة - أمين هذه الامة - لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ،
ثم قال : أين أبو سليمان خالد بن الوليد ، فأجابه خالد بالتلبية ،
فقال أبو عبدة : أنت لها يا أبا سليمان فابرز في أبطال المسلمين
وصد عن الحريم ، وخذ صفوة الرجال واستعد للحرب بالاتها ،
فقال : حبا وكرامة ونادى خالد : أين الزبير بن العوام ؟ أين عبد
الرحمن بن أبي بكر ؟ أين الفضل بن العباس ؟ أين يزيد بن أبي
سفيان ؟ أين مسرة بن مسروق العبسي ؟ أين مسرة بن قيس بن
عبد الله الجهني ؟ أين صخر بن حرب الأموي ؟ أين عمارة الدوسي ؟
أين عبد الله بن سلام ؟ أين غانم الغنوي ؟ أين المقداد بن الأسود
الكنادي ؟ أين أبو ذر الغفاري ؟ أين عمرو بن معد يكرب الزبيدي ؟
أين عمار بن ياسر العبسي ؟ أين ضرار بن الأزور ؟ أين عامر بن
الطفيل ؟ أين أبان بن عثمان بن عفان ؟ ... وجعل خالد

يدعوهم رجلا بعد رجل من أصحاب رسول الله (ص) وهؤلاء كل واحد منهم يلقي جيشا ، فكيف اذا اجتمعوا ؟

جمعهم خالد ليضربوا عدوهم « الضربة القاضية » وهذا سيكون وأثناء انتقاء خالد لهؤلاء ، سار أبو عبيدة في الجيش فأخرج النساء الى تل قريب وأمرهن بأن يأخذن بأيديهن أعمدة الخيام والحجارة وان يحرضن المؤمنين على القتال ، « فان كان الامر للمسلمين فكن على ما اتن عليه ، وان رأيتن أحدا منهزما فاضربن وجهه بأعمدتكن ، واحصبينه بحجارتكن ، وارفعن اليه اولادكن وقلن له : قاتل عن دينك وأهلك وولدك ، فقالت النساء : أيها الامير ابشر بما يسرك ، ثم رجع الى الجند وقال محمدا : « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والزموا الصبر فان الصبر منجاة من الكرب ومرضاة للرب ومقمة للعدو فلا تزايلوا صفوفكم ولا تنقضوا نيبتكم ولا تخطو خطوة الا وانتم تذكرون الله .

ثم طاف معاذ بن جبل في الناس محرضا يقول : « يا اهل الدين ويا انصار الهدى والحق ، اعلموا رحمكم الله تعالى ان رحمة الله لا تنال الا بالعمل والنية ، ولا تدرك بالمعصية والتمني بغير عمل مرضي ، ولا تدخلوا الجنة الا بالاعمال الصالحة مع رحمة الله ، ولا يؤتى الرحمة والمغفرة الواسعة الا الصابرون والصادقون ، ألم تسمعوا قوله جل من قائل : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ،

(١) تنفيذا لامر الله عز وجل في الآية الكريمة : « يا أيها الذين آمنوا اذا قُتِلْتُمْ فَمَنْ قُتِلْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » . (٥٨/٤) .

وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم
أمننا ۝۵۵/۲۴ . فاستحيوا من الله أن يراكم في فرار من
عدوكم وانتم في قبضته ليس لكم ملجأ من دونه . كذلك خرج
أبو سفيان وسهيل بن عمرو وحمسوا الناس بمثل هذه الكلمات .

بطولة غلام

قال ورقة بن مهلهل التنوخي ، وكان صاحب راية أبي عبيدة
في اليرموك : كان من أوائل من افتتحوا الحرب غلام من الأزدي
حدثا كيسا قال لأبي عبيدة : « أيها الأمير اني أردت أن أشفي قلبي
وأجاهد عدوي وعدو الاسلام ، وأبذل نفسي في سبيل الله تعالى
لعلي أرزق الشهادة ، فهل تأذن لي في ذلك وان كان لك حاجة الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرني بها » فبكى أبو عبيدة وقال :
« اقرئ رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام وأخبره أنا
وجننا ما وعدنا ربنا حقا » . ثم اندفع الغلام ؟ هل لك أن تتصور
قوة اندفاع هذا الغلام الأزدي الى الجهاد ؟ وهل لك أن تتصور أمة
هكذا أطفالها ، هل تغلب ؟!...

خرج - لهذا الغلام المتقدم بين الصفين - ، عالج من الروم ، جاء
اليه على فرس أشهب ، فلما رآه الغلام قصد نحوه وهو يقول :

لا بد من طعن وضرب صائب

بكل لدن (١) وحسام قاضب

(١) لدن : « بفتح اللام وتسكين الدال » . وهي صفة للرمح اللين ، الذي

لا يكسر أثناء الطعان .

عسى أن الفوز بالمواهب
في جنة الفردوس والمراتب

فحمل كل منهما على صاحبه ، وأبتدا الغلام الأزدي الرومي
بطعنة فجندله صريعا وأخذ جوادته وعدته وسلم ذلك لرجل من
قومه ، وعاد الى المبارزة فخرج اليه آخر فقتله وثالث ورابع فقتلهم ،
فخرج اليه خامس فقتل الغلام الأزدي ففضبت الأزد ودنت من
صفوف المشركين يشدهم الحماس بعد بطولات غلامهم ، هنيئا له
الشهادة فقد لقي من أحب وأراد ، لقي رسول الله ، ولا ندري كم
كان من هذه البطولات لغلمان هذه الأمة قد سطرها أطفالها ولكن
التاريخ ظلمهم ولم تكتب بطولاتهم ؟ وعلى مثل هذا يربى النشء
والا فلا ...

سبيل آخر

خرج بين الصفيين عالج من الروم وعليه درع سابغ فسأل القتال ،
فخرج اليه غلام ، فقتل الغلام على يد العالج ، ثم رأى معاذ بن جبل
فأعجبه منظره فطلبه للنزال ، فقال أبو عبيدة : يا معاذ سألتك بحق
رسول الله (ص) الا مائت مكانك ولزمت رايتك ، فلزومك الراية
أحب الي من برازك الى هذا العالج ، فوقف معاذ بالراية ونادى :
« يا معشر المسلمين من أراد فرسا يقاتل عليه في سبيل الله فهذا
فرسي وسلاحي » فجاء ولده عبد الرحمن فقال : « انا يا أبت »
وكان غلاما لم يحتلم ، فلبس السلاح وركب الجواد ، وقال : « يا أبت
انا خارج الى هذا العالج ، فان صبرت فالمنة لله علي ، وان قتلت

فالسّلام عليك ، يا ابت ، ان كان لك الى رسول الله حاجة فأوصني بها ، قال الاب لابنه الزاحف الى الموت : « يا بني اقرئه مني السّلام ، وقل جزاك الله عن امتك خيرا » ثم قال : « يا بني اخرج وفكك الله لما يحب ويرضى » ، فخرج عبد الرحمن بن معاذ بن جبل الى العليج كأنه شعلة نار ، وحمل على العليج وضربه بالسيف ، فمال عنه العليج ومال الى عبد الرحمن وضربه على رأسه فقطع العمامة وشجّه شجة عميقة أسالت دمه ، فلما رأى العليج دم عبد الرحمن ظن انه قتله فتأخّر الى ورائه لينظر كيف يسقط عن جواده ، فلما نظر عبد الرحمن الى العليج وقد تأخّر عنه اثنى راجعا الى المسلمين فقال له والده معاذ : « ما بك يا بني ؟ » قال : « قتلني العليج » قال معاذ : « ما الذي تريد من الدنيا يا بني ! ؟ » فشدّ عبد الرحمن جرحه ورجع لكنه استشهد قبل قتل العليج ، فقال ابو عبيدة : « فمن له منكم ؟ » فخرج اليه عامر بن الطفيل الدوسي وكان من اصحاب الرايات وممن قاتل يوم اليمامة قتالا شديدا رائعا ، خرج عامر الى العليج : وما هي الا لحظات حتى ضرب العليج بسيفه على هامته حتى وصل السيف الى امعائه ، فتنكس العليج صريعا .

خرج لعامر بن الطفيل بعد ان قتل العليج جبلة بن الايهم قائلا : انا من غسان وانا سيدها ، انا جبلة بن الايهم الفساني ، قتلت العليج وهو نظير « ماهان وجرجير » في الشجاعة فعلمت انك كفؤ ، فخرجت اليك لاقتلك واحظى عند هرقل وماهان بقتلك ، — يريد رضاء اسياده — فقال عامر : ان قولك انك ستحظى بقتلي عند

مخلوق مثلك ، فاني أريد أن احظى بجهادي عند رب العالمين بقتلك (١)
 وحمل عامر على جيلة بن الايهم والتقى بضربتين ، فخرجت ضربة
 عامر بن الطفيل غير ممكنة ، وخرجت ضربة جيلة ممكنة ، فقطعت
 من قرنه الى كتفه فسقط عامر قتيلًا ، فوقف جيلة معجبا بنفسه
 وبما صنع ، وطلب المبارزة ثانية ...

سُبُلُ ثَالِثَ

طلب جيلة المبارزة ثانية ، فخرج اليه « جندب بن عامر
 ابن الطفيل ، وكانت معه راية أبيه فاقبل الى ابي عبيدة وقال : « ايها
 الامير » ، ان ابي قد قتل ، وأريد أن آخذ بثأره او اقتل ، فادفع
 رايته لمن شئت ، وخرج الغلام وهو يقول :

سأبذل مهجتي أبدا لاني أريد العفو من رب كريم
 واضرب في العدا جهدي بسيفي واقتل كل جبار لثيم
 فان الخلد في الجنات حق تباح لكل مقدم سليم

ودنا من جيلة وقال له : « اثبت يا قاتل أبي » ، فقال جيلة :
 « ومن أنت من المقتول ؟ » . قال : ولده ، قال جيلة : « وما الذي
 حملكم على قتل نفوسكم ، وقتل النفوس محرم ؟ » قال جندب :
 « ان قتل النفس في سبيل الله محمود عند الله ، وننال به الدرجة
 العالية » ، قال جيلة : « أني لا أريد قتلك » فقال جندب :

(١) هذا هو الفرق بين الكافر والمؤمن ، الكافر يريد ارضاء اسياده الرومان
 الذي هو عبد لهم ، والمؤمن لا يريد الا رضاء الله عز وجل ، وشتان بين الاثنين ،
 الدل للانسان ذل ، والدل لله رفعة وقوة ...

« وكيف أرجع وأنا المفجوع بأبي؟! .. والله لا رجعت الا أن آخذ بثأر أبي أو الحق به » . ثم حمل على جيلة وجعلا يقتتلان وقد شخّصت نحوها الابصار ، نظر جيلة الى الغلام وما أبدى من شجاعة فعلم انه شديد البأس ، صعب المراس ، فأخذ منه حذره ، وغسان ترمق صاحبها فرات الغلام وقد ظهر على صاحبهم وقارنه في الحرب ، فصاح بعضهم على بعض وقالوا : ان هذا الغلام الذي برز الى سيدكم غلام نجيب ، وان تركتموه ظهر عليه ، فانجدوه ولا تدعوه ، فتأهبت غسان للحملة لينقذوه ، ونظر المسلمون الى جندب وما ظهر منه ومن شجاعته وشدته وفرحوا بذلك ونظر الامير ابو عبيدة الى ذلك وما فعل فبكى وقال : « اللهم تقبل له فعله » ، قال جابر بن عبد الله : « شهدت اليرموك فما رايت غلاما كان انجب من جندب بن عامر بن الطفيل حين قاتله جيلة » ، وكانت النتيجة أن ضرب جندب جيلة ضربة أوهنه بها فكر جيلة على جندب فقتله . فصاحت قبيلة جندب واسمها « دوس » : الجنة الجنة ، فحملت وحملت معها الازد فسطروا بطولات ما بعدها بطولات .

نشب القتال بجذ ، وفي جميع الجوانب ، وسيطرت روح الصديق في سماء المعركة تلوح برايات النصر والفوز المبين ، واستجابت لها جنبات الوادي تردد في الفضاء المزدحم هتافات المسلمين وخطب وتحميس القواد . دقت ساعة الخطر ، واقبل الاعداء في قضهم وقضيضهم وخيلائهم وفخرهم ، تحاد الله وتهزأ من انصاره ، وخاف صحابة رسول الله على سلامة الجيش امام سيل العدو الجارف ، فأسرع بعضهم الى الزبير بن العوام في مقدمة

الفرسان فقالوا : ألا تشد فنشد معك ؟ ، واستجاب الزبير لنداء العزة ، فوثب ووثب من حوله على الروم ، فأزاحوهم عن الوادي وأرغموهم على تسلق الجبال وسلوك سبلها بحثا عن النجاة ولا نجاة ... وقال المسلمون : لله در الزبير بن العوام وهاشم بن المر ، فقد أرجعوا الروم بعد زحفهم .

وممن أظهر شجاعة لا نظير لها في اليرموك « **ضرار بن الأزور** » الذي قتل أميرا روميا اسمه « مريوس » ويلقب (بملك اللان) ، فخرج فارس رومي يطلب المبارزة فخرج اليه الزبير فقتله وخرج اليه ثان وثالث فقتلهم ، فقال خالد بن الوليد لأبي عبيدة : ان الزبير قد تجرد للروم وبذل نفسه لله ولرسوله وأخاف عليه من التعب ، فصاح عليه أبو عبيدة وأقسم عليه فرجع الزبير ، وفي هذا اليوم من كثرة السهام كثرت الجراح ، وأعوّر من المسلمين سبعمائة عين ، فسمي ذلك اليوم « **يوم التعوير** » وكان ممن أصيب بعينه : المغيرة بن شعبة ، وسعيد بن زيد بن عمرو التميمي ، وأبو سفيان صخر ابن حرب ... وكان أبو عبيدة يمشي في الناس هو وخالد بن الوليد يتفقدان الجرحى ويقولان : أيها الناس ان عدوكم يألم كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون .

أبو عبيدة حارس ليلى

جاء مساء اليوم الاول من القتال ، ولم يقل أبو عبيدة لاحد من المسلمين من يكون الليلة حرس المسلمين لما عندهم من التعب ، بل

انه قد تولى الحرس بنفسه ومعه جماعة صغيرة من المسلمين ،
 فينما هو يدور اذ رأى فارسين قد لقياه وهم يدوران بدورانه ،
 فكلما قال لا اله الا الله ، قالوا : محمد رسول الله ، فقرب ابو عبيدة
 منهما فاذا هما الزبير بن العوام وزوجته اسماء بنت ابي بكر
 الصديق ، فسلم عليهما وقال : يا ابن عمه رسول الله (ص) ما الذي
 اخرجكما ؟ قال الزبير : نحرس المسلمين ، وذلك ان اسماء قالت :
 ان المسلمين مستغافون بانفسهم في هذه الليلة عن الحرس بما لحقهم
 من التعب في الجهاد طول يومهم فهل لك أن تساعدني على حرس
 المسلمين فأجبتها الى ذلك ، فشكرهما ابو عبيدة وعزم عليهما أن
 يرجعا ، فلم يرجعا ولم يزا حتى طلع الصباح .

هذان الزوجان « الزبير واسماء » كان معهما ابنيهما الغلام الصغير
 عبد الله ، وعمره يومها اثنتا عشرة سنة فقط ، فأرى هذا الغلام
 ارض الميدان معجزة الايمان في قلب ابن الزبير ، لقد ابى الغلام
 وقدواته الفرصة الثمينة للمشاركة في الجهاد ، فركب فرسه مع ابيه في
 اليرموك ، وتقدم الى الصف الاول وفي اليوم الاول من المعركة ،
 ليفرق جواده في بحر القتال الى ذقنه ، واخذ هذا الشبل الصغير
 ينافس ابيه « الاسد الهصور » في ضرب رقاب اعداء الله وتشتيت
 اكاداس العدو المكتظة في ساحة المعركة . . . حتى خرجا من الناحية
 الاخرى من كتلة الروم المتراصة ، ومن ثم ، عادا من نفس الطريق
 وبنفس الاسلوب المعجز في تاريخ الحروب . . !!

لقد كان هذا الشبل مع ابيه بمثابة جيش خطير ، اذهل الاعداء ،

وفت عضدهم ، وايقنوا ان العاقبة وخيمة وخلد تاريخ الشعوب صورة بطولة خارقة لعبد الله بن الزبير في ميدان الحرب ، وهو لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره الا قليلا .

النساء في اليرموك

اخذنا فكرة لا بأس بها عن بطولات الاطفال والفلمان في اليرموك، ولكن مادور المرأة المسلمة في هذه المعركة . لقد شاركت بها حقا ، دخلت المعركة بطهرها وعفافها واخلاقها الفاضلة جنبا الى جنب مع الجندي المسلم في طهره وعفافه وخلقه الفاضل ، أجل لقد دخلت المرأة المسلمة المعركة ولكن في جو ملائكي طاهر . وصور كفاح المرأة العربية في اليرموك كثيرة حتى قال « عبد الله بن قرط » ساعدتنا النساء اللاتي شهدن مع رسول الله (ص) المشاهد يداوين الجرحى ويسقين الماء ويبرزن الى القتال ، ولم أر من نساء قريش قاتلت بين يدي رسول الله (ص) ولا في « اليمامة » مع خالد مثل ما قاتلت نساء قريش يوم اليرموك حين دهمهن القتال وخالط الروم المسلمين فضرين بالسيوف ضربا وجيعا .

ومن النساء اللواتي قاتلن في اليرموك : خولة بنت الازور ، وأم حكيم بنت الحرث، وسلمى بنت لؤي . وأسماء بنت ابي بكر التي قاتلت الى جانب زوجها فقرنت عنانها بعنان زوجها الزبير ابن العوام .

ومما حدث في اليرموك : أن حملت خولة بنت الازور على علق رومي كان قد حمل على النساء ، فاستقبلته خولة بالسيف ، فضر بها

العلاج بسيفه على رأسها فأسال دمها وسقطت الى الارض ، فصاحب
 عفيرة بنت عفان حين نظرتها صريعة ونادت : فجع والله ضرار في
 اخته ، فأخذت رأسها على ركبته والدم قد صبغ شعرها وقالت
 لها : كيف تجددك يا ابنة الازور ، فقالت خولة : انا بخير ان شاء الله
 تعالى ، ولكني هالكة لا محالة ، فهل لك علم بأخي ضرار ؟ فقالت
 عفيرة : يا ابنة الازور ما رأيته ، فقالت خولة : اللهم اجعلني فداء
 لأخي ولا تفجع به الاسلام ، قالت عفيرة : فجهدت ان تقوم معي ،
 فلم تقم فحملناها الى أن اتينا بها موضعها فلما كان الليل رأيتها
 وهي تدور تسقي الرجال وكأن ليس بها ألم قط ، ونظر اليها اخوها
 والضربة في رأسها فقال لها : ما بك ؟ فقالت : ضربني علاج قتلته
 عفيرة .

وكانت خولة تنشد مع هند بنت عتبة زوجة ابي سفيان والمزاهر
 معهن ومع النساء جميعا أبياتا هي :

يا هاربا عن نسوة ثقات	لها جمال ولها ثبات
تسلموهن الى الهنات	تملك نواصينا مع البنات
أعلاج سوء فسق عتاة	ينلن منا أعظم الشتات

قالت سعيدة بنت عاصم الخولاني كنت في جملة نساء
 يومئذ على التل فانكشفت ميمنة المسلمين فصاحت بنا « عفيرة بنت
 عفان » وكانت من المترجلات البازلات ونادت : « يا نساء العرب
 دونكن والرجال ، واحملن اولادكن على أيديكن واستقبلنهم
 بالتحريض » ، فاقبلت النسوة يرجمن وجوه الخيل بالحجارة ،
 وجعلت ابنة العاص بن منبه تنادي : « قبح الله وجه رجل يفر عن

حليلته » ، وجعل النساء يقلن لازواجهن : لستم لنا ببعولة ان لم تمنعوا عنا هؤلاء الاعلاج ، قال عباس بن سهل الساعدي : « كانت خولة بنت الازور ، وكعوب بنت مالك بن العاص ، وسلمى بنت هاشم ، ونعم بنت فياض ، وهند بنت عتبة ، ولبنى بنت جرير الحميرية » متحزمت وهن امام النساء ، يرددن الخيل ، ويحرضن على القتال ، خرج المجاهدون رجعة عظيمة عندما سمعوا التحريض ، وخرجت هند بنت عتبة وبيدها مزهر ومن خلفها نساء من المهاجرين وهي تقول الشعر الذي قالته يوم احد :

نحن بنات طارق نمشي على النمارق
مشي القطا الموافق قيدي مع المرافق
ومن ابي نفارق ان تغلبوا نمالك
او تدبروا نفارق فراق غير واثق
هل من كريم عاشق يحمي عن العواتق .

ثم صاحت هند : الى أين تفرون من الله ومن جنته وهو مطلع عليكم ، ونظرت الى زوجها ابي سفيان فضربت وجه حصانه بتمود كان بيدها ، وقالت له : الى أين يا ابن صخر ! ارجع الى القتال وابذل مهجتك حتى تمحص ما سلف من تحريضك على رسول الله (ص) قال الزبير بن العوام : فلما سمعت كلام هند لابي سفيان ذكرت يوم أحد ونحن بين يدي رسول الله (ص) ، ثم قال : فعطف ابو سفيان عندما سمع كلام هند وعطف المسلمون معه ، ونظرت الى النساء وقد حملن معهم ، وقد رأيتهن يسابقن الرجال ، وبأيديهن العمد بين أرجل الخيل ، ولقد رأيت منهن امرأة وقد

اقلت الى علق عظيم وهو على فرسه فتعلقت به وما زالت به حتى
نكسته عن جواده وقتلته وهي تقول : « هذا بيان ، نصر الله المسلمين »
ولما رأى خالد رضي الله عنه تراجع الميمنة ، دعمها بنفسه وبسته
الاف ، فكبر وكبروا ونكل بهم نكالة عظيمة وردهم الى بعد
موافعهم .

ساعات فاصلة

(من يبايع على الموت)

تضعف الروم وسارع خالد « بالقلب » حتى كان بين خيلهم
ورجلهم وكان مقاتل الروم لا يدري ما العمل فمكأن قتاله ، واسع
المطرد ، ضيق المهرب ، فكلما وجدت خيلهم مذهبا ذهبت وتركت
رجلهم في امكانهم ، وخرجت الخيل تشتد بالروم في الصحراء ،
فلما رأى المسلمون خيل الروم توجهت للهرب افرجوا لهم ، ولم
يخرجوها ، فذهبت متفرقة في البلاد ، واقتل خالد والمسلمون على
الرجل ، ففضوهم وتراجعوا الى خنادقهم ، فافتحم المسلمون عليهم
خنادقهم ، فصاروا يهربون الى « الواقوسة » ولكن المقتربون
بالسلاسل هبوا في الخنادق والوادي ، ومن صبر منهم « من
المقتربين » للقتال هوى به من خاف وهرب ، او قتل فسقط ارضا ،
فكان يهوي الواحد بالعشرة ، لانهم لا يطيقونه ، وكلما هوى اثنان كانت
البقية اضعف ، فهافت في « الواقوسة » ثمانون الف مقتربون وذلك
في بضع ساعات من النهار .

جمع « الفيقار » أشراف الروم ، ثم جلسوا وقالوا : لا نحب أن نرى يوم السوء ، اذا لم نستطع ان نرى يوم السرور ، واذا لم نستطع أن نمنع النصرانية ، فلفؤا رؤوسهم كي لا يروا شيئا ، وقتلوا وهم في هذه الحالة .

وفي اليوم الثاني : وقف عكرمة بن ابي جهل يومئذ وقال : « قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل موطن ، وافر منكم اليوم ؟ » ثم نادى : **من يبايع على الموت ؟** فبايع الحارث ابن هشام وضرار بن الازور واربعمائة من وجوه وفرسان المسلمين ، فقاتلوا في مقدمة فسطاط خالد حتى أصيبوا جميعا بجراحات ، وقتلوا الا من برأ من جراحه ومنهم ضرار بن الازور ، وأتى خالد بعدما أصبحوا بعكرمة جريحا فوضع رأسه على فخذه ، وبعمرو بن عكرمة (الاب وابنه ، رضي الله عن الاب ورضي عن الابن) فوضع رأسه على ساقه ، وجعل يمسح عن وجوههما ، ويقطر في حلوقهما الماء .

ومن شهد هذا اليوم المشهود : الاشر ، الذي شهد اليرموك ولم يشهد القادسية ، خرج رجل « في هذا اليوم الثاني » من الروم فقال : من يبارز ؟ فخرج اليه الاشر ، فاختلفا ضربتين ، فقال « للرومي : خذها وانا الغلام » النخعي (١) ، فقال الروم : اكثر الله في قومي مثلك ! أما والله لو أنك من قومي لأزرت الروم ، فأما الآن فلا أعينهم ، وهرب من البراز .

(١) ورد في الطبري ان الاشر قال : خذها وانا الغلام الايادي ، والمعروف ان الاشر « نخعي » ومن ملحق .

دامت المعركة يوما وبضع اليوم وكان الهجوم الاخير هجوما يمكن وصفه ان جميع المسلمين هجموا هجوم رجل واحد ، فارتد فيلق الروم فأصدر خالد امره **بالحجوم العام** ، واشتد المسلمون ، واندفع سيف الله على رأسهم يهوي بسيفه ويخطف الارواح حتى شاركت النساء المسلمات الرجال في هذا الهجوم الاخير وكان من اكثرها حماسة « جويرية بنت الحارث ابنة هند بنت عتبة » وكانت المصيبة الكبرى التي اصاب الروم نتيجة لهروب فرسانهم وبقاء الرجال يتلقون الضربة ، اقتحم خالد وجيشه خندق الروم وتساقطوا في الواقوسة يهون ، وكان فيمن هوى فمات أخو هرقل « تذارق » .

انتهت المعركة باستشهاد ثلاثة آلاف من المسلمين منهم : عكرمة وابنه عمرو وسلمه بن هشام وعمرو بن سعيد ، وابان بن سعيد واثبت (١) خالد بن سعيد فلا يدرى أين مات بعد ، وجندب بن عمرو الدوسي ، والطفيل بن عمرو ، وطليب بن عمير بن وهب ، وهبار ابن سفيان ، وهشام بن العاص أخو عمرو .

وقتل من الروم (١٢٠) ألفا اكثرهم سقطوا هاوين في الواقوسة ، فكانت السلاسل وتقيدهم عشرة عشرة وبالا عليهم فما هوى واحد أو اثنان منهم في الوادي الا هووا معه ، وان لم يصابوا فقد كانوا يموتون لعمق الوادي وسقوط آخرين فوقهم .

سمع هرقل بخبر المعركة ونتائجها فارتحل من حمص مودعا

انبتت : اي جرح جرحا عميقا .

سورية وداعه الاخير : ((سلام عليك يا سورية ، سلاماً لا لقاء بعده))
لقد عرف ان هذا الشعب الذي خرج من جزيرته مؤمناً موحداً
لا قبل له به فانسحب بسلام .

تابع المسلمون تطهير الاردن وجنوب سورية من الروم ثم
لاحقوهم حتى دمشق ووصف القعقاع بن عمرو انتصار المسلمين
في اليرموك فقال :

الم ترنا على اليرموك فزنا	كما فزنا بأيام العراق
فتحنا قبلها بصرى وكانت	محرمه الخباب لدى التلاقي
قتلنا الروم حتى ما تساوى	على اليرموك مفروق الوراق
فضضنا جمعهم لما استحالوا	على الواقوصة البتر الرقاق
غداة تهافتوا فيها مضاروا	الى امر تعضل بالذواق



عزل خالد

قال عمر : « يا خالد ، والله انك عليّ الكريم ،
وانك اليّ لحبيب » .

قال خالد : « سمعاً وطاعة لأمير المؤمنين ، والله لو
ولىّ عليّ الفاروق إمراة لسمعت
واطعت » ..

... بهذه الزوج ... وهذه المحبة ، يجب ان نفهم مسألة
« عمر وخالد » رضي الله عنهما .

لما وصل الى اليرموك حمية بن زعيم ومعه شداد بن اوس في صحبته ، قابل خالدا ، واسر اليه ان ابا بكر قد لحق بالرفيق الاعلى ، وسلم اليه كتاب عزله من الخليفة الجديد عمر رضي الله عنه . احتفظ خالد بالكتاب خوفا من أن ينتشر ما به بين الجند فيضعف من عزيمتهم على القتال .

كان الكتاب يحمل نبأ وفاة الصديق ونبأ خلافة عمر ، ويحمل أمراً بعزل خالد وتأمير أبي عبيدة . وبعد انتهاء المعركة ، واتمام النصر ، أعلن خالد مضمون الكتاب ، واعتزل الامارة ، ولولاها مكانه ابا عبيدة ، تقدم خالد الى أبي عبيدة وطأ رأسه احتراماً واجلالاً له ولامر عمر - انحنى خالد احتراماً للقائد العام الجديد لجيوش الاسلام قائلا : « مرني يا أميري فأنت القائد العام » وقال لحامل البريد الذي جاءه بأمر عزله : « بلغ أمير المؤمنين ان من حقه ان يعزلني عن القيادة ، ولكنه لا يملك ان يجردني من سيفي ، فسأظل حاملاً هذا السيف في خدمة أمتي » . وأصبح خالد جندياً في الجيش تحت امرة أبي عبيدة .

قيل في سبب الخلاف بين عمر وخالد ، كلام كثير ، منه :

١ - تصارعا وهما طفلان ، فغلب خالد عمر ، فصارت الفرصة مناسبة لعمر كي ينتقم من خالد ، حان الوقت للثأر لنفسه . وهذا مرفوض عقلاً لان المؤمن المسلم بعد تركه الكفر والجاهلية ودخوله

في حقيقة الاسلام ، يلقي قاتل اخيه او ابيه او ابنه ، فلا يثار ،
بعد ان آخا الاسلام بينهما « والاسلام يجب ما قبله » ، فبعد
الاسلام تموت حتما مثل هذه المشاعر اللهم ان وجدت .. فهذا
السبب مرفوض عقلا ...

يقول الشاعر :

من وحد العرب حتى صار واثرم
اذا رأى ولد الموتور آخاه ؟

هي الحنيفة عين الله تكلؤها
فكلما حاولوا تشويهها شاهوا

فتحقيق معنى البيت الاول ، اولى الناس بتحقيقه عمر حيث
ان ايمانه و يقينه بالله اقوى واعنف من أن يحمل حقدا في قلبه
بعد اسلامه على بشر ، فكيف يحمله على سيف الله ؟ .

٢ - وقيل ان سبب عزل خالد ، انتصاره في « اُحد » لصالح
قريش ، فلولا التفاف خالد وتطويق الرماة ثم قتلهم ، لما انتصرت
قريش في اُحد ، فقليل : لم ينس عمر لخالد موقفه هذا يوم اُحد ،
وهذا مرفوض أيضا لنفس اسباب رفض الراي الاول .

٣ - لما قتل « مالك بن نويرة » تزوج خالد زوجته ، فغضب
عمر وكلم الصديق بالامر ، فعنف الصديق خالدا ، كيف يتزوج
من امرأة رجل لم يحف دمه بعد ، فعمر يرى ان خالدا قد تزوج
امرأة قبل قضاء عدتها فلا يصح هذا الامر ويجب معاقبة خالد
على هذه الفعل .

٤ - لما أمر الصديق خالدا ان يسير الى الشام من العراق ،
ظن أن هذا عمل عمر وليس من الصديق ، فعمر يحسده على ان
يكون فتح العراق على يده ، فظن خالد ان عمر لا يرضى له ان تصير
شهرة بين الخافقين .

٥ - تصرف خالد بيت المال أيام الصديق ، فكان أبو بكر
يغفر له ذلك ولا يحاسبه . ومما قاله عمر لابي بكر : **اكتب الى خالد
الا يعطي شيئا الا بأمرك .**

٦ - افتن الناس بخالد ، واستماتوا تحت لوائه ، فلم يعودوا
يجبون القتال الا تحت رايته وظنوا ان راية يقودها خالد ، راية
لا تهزم ، وجيش على رأسه خالد جيش انتصاره حتمي ، مما
جعل عمر يخشى أن ينسى الناس ربهم ويذكروا خالدا ، والنصر
من عند الله وليس من عند خالد ، وفي ذلك يقول عمر في كتابه الذي
وجهه الى الامصار : « لم اعزل خالدا عن سخط ولا عن خيانة ،
ولكن الناس فتنوا به ، فخفت ان يوكلوا ، ويبتلوا به فاحببت ان
يعلموا ان الله هو الصانع والا يكونوا بعرض فتنته » .

وقال عمر لخالد : « ما عزلتك لريبة فيك ، ولكن افتن بك
الناس فخشيت أن تفتن بالناس » . واذا نظرنا الى وصية عمر
الى أبي عبيدة وجدنا فيها وصية المخلص لهذا الجيش المحب لهذه
الامة ، الموقن بالله ، العاشق للدار الآخرة ، المتناسي الدنيا
ككيف ينزع خالد لامر شخصي ؟ يقول عمر في وصيته لابي عبيدة :
وأوصيك بتقوى الله يبقى ويفنى ما سواه ، الذي هدانا من

الضلالة واخرجنا من الظلمات الى النور ، وقد استعملتك على جند خالد ، فقم بأمرهم الذي يحق عليك ، لا تقدم المسلمين الى هلكة رجاء غنيمة ، ولا تنزلهم منزلا قبل ان تستريده (١) لهم وتعلم كيف مآتاه ، ولا تبعث سرية الا في كتف من الناس ، واياك والقاء المسلمين في الهلكة وقد ابلاك الله بي وابلاني بك ، فغمض بصرك عن الدنيا ، واله قلبك عنها ، واياك ان تهلك كما اهلكت من كان قبلك فقد رايت مصارعهم ..»

والعزل كان على مرحلتين :

١ - عزل عن قيادة الجيش في اليرموك .

٢ - وعزل عن كل الاعمال ومنها ولاية خالد على قنسرين .

وافضل من ناقش هذا الموضوع المرحوم العقاد رحمه الله ، والصاغ محمد فرح في كتابه « سيف الله خالد » ويمكن الاهتداء بأرائهما في المناقشة الآن ، ولكن قبل المناقشة والتحليل اقول : يجب الانطلاق من منطلق : ان اصحاب رسول الله (ص) عدول ولا ينقصهم احد الا وبه نفاق . فاذا بلغ من صواب عمر اننا لا نحصي عليه خطأ غير عزله لخالد وما جرى مجراه ، فما اكثر هذا صوابا على الآدمي وان كان من اعظم العظماء ، يكفي عمر شرفا ورفعة انه لم يخطيء غيرها (ان اخطأ بها !!) ..

يجب ان نقر ان خالداً سيفاً من سيوف الله ، هبئاً وأعداً لقيادة حروب ، شب على ذلك ، ونشأ وترعرع عليه ، حياته كلها جهاد

(١) يستطلمه لهم .

— بعد اسلامه — ففضائله لا تعد ، ومناقبه لا تحصى ، وعمر يجب ان تقر بعظمته وعبقريته في توجيه سياسة الدولة ، لقد انطبع في روحه : العدل بين الناس وحب لتنفيذ احكام الله ، ومحاسبته الدقيقة لولاته ففضله يقره القريب والغريب ، وعظمته مكان اعجاب الصديق والعدو .

خالد الذي شب في القتال ونشا في الحروب وعاش لئاليه

وساعات نهاره فيها لا يرى حرجا ان يتزوج ليلة كان قبلها بساعات قد قتل عشرين وطعن مائة ، لانه اعتاد رؤية مناظر الحروب ولكن ذلك يصعب على عمر ، وكلاهما محق في وجهة نظره . فكلاهما من رجال هذه الامة الخالدة ، ومن عظمائها ، وحسب ابن آدم ان تعد معايبه ان وجدت فيه عيوب ، وشاء بعضهم ان يتخذ من سوء التفاهم هذا محور حديث وتعظيم ونشر ودراسة غير موضوعية ولم تنطلق من منطلق احترام الرجلين لكبر مقامهما وفضلهما عمر في العدل والسياسة وتنفيذ احكام الله والثاني في الفتوح والجهاد رغم قلة ما كان معه وضعف عدده مع قلة العدد .

وللمرحوم العقاد رأي وجيه في هذا الموضوع نلخصه بما يلي :

... ينبغي ان نفهم كل علاقة كانت بين عمر وبين احد من كبار الصحابة والتابعين على اساس ان عمر وضع الحق فوق كل قدر ، عند هذا القسطاط الذي يعطي كل ذي قدر قدره ، كان عمر قد اعطى كل انسان حقه وقدره حيث ينبغي له فقدم عمر من قدم ، واخر من اخر لا بهواه وبمزاجه بل قدم من قدم بعمله واخر من اخر

بعمله ، ولا عليه من غضب الغاضبين ولوم اللائمين — وعلى هذا الوجه نفهم كل علاقة بينه وبين احد من عامة المسلمين ، فلكل رجل حقه ، ولكل عمل حقه ، ولا ضرر على احد ان يتأخر قدره ويتقدم عمله ولا ينفع احدا ان يتقدم قدره ويتأخر عمله ، فكل عمل وله حساب ، وكل قدر وله كرامة ، فأكبر الصحابة قد يسبقه اصغر الناس اذا كان يستحق جزاء مناسباً حسناً ، وكل قسطاس غير هذا القسطاس فانما يعارضه عمر لظلم أو لخوف ، وليس هذا وذاك سبيل عمر ، فعذله ارقى من الشك ، وعلى هذا الضوء نلتبس الآن تأويل محاسبات عمر ومعاملاته اذا وقع منها ما يحتاج الى تأويل ، وعمر هو اول من يحاسب نفسه ، وفي جميع محاسباته للقادة والولاة وضعت هذه المسألة موضع الصدارة ، وهي عادية ، وكذلك مع خالد ، فما صنعه عمر صنعه مع كل ولائه ، فالجميع عند عمر سواء في نظره .

● عزل عمر خالد وهو سيف الاسلام ، فقال الناس : منافسة الند للند ، والشبيه بالشبيه ، وقالوا : انها حقد قديم . واول ما يذكر لعمر حسن نيته ، وطيب سريرته ، انه **صان للقائد الكبير كرامته** ، فكتب الى الامصار : انه لم يعزله لسخط ولا لخيانة ، ولكن الناس فتنوا به ... خشي عمر ان يوكلوا به ويفتنوا ، فأحب ان يعلم الجند والناس عامة ان النصر من عند الله ، ان الله هو الصانع والا يكونوا بعرض الفتنة ...

● ان عمر لم يحاسب خالداً بميزان غير الذي حاسب به جميع

ولاته ، فعمر لم يظهر انه انكر من خالد شيئاً كان قبله من غيره ،
وانه نصب له ميزانا غير الموازين التي يحاسب بها القواد والولاة ،
وكل صاحب عمل مسؤول ، كره عمر من خالد الاسراع الى القتال
وهو الذي كان ينتقي للحروب « الرجل المكث » وكان يتخرج ان
يستبيح دم مشكوك فيه ، فأنكر على خالد : سرعة هجماته وشدة
صدماته ، هي سنة عمر لا شذوذ فيها ، انتقد على خالد توزيعاته
وهباته المالية ولو ان عمر لم يفعل ما عمل لكان ذلك شذوذاً ، وعمر
معروف انه لا يحابي ولا يخشى في الله لومة لائم وخاصة في
« ياسته العليا » ، لقد عزل عمر ولاته لخوف اما ان يفتتن بهم
الناس فيفتتنوا هم بالناس ، فعمر يهمل ان يبقى قلب من ولاه
وقلوب من ولي عليهم ، كل هذه القلوب متعلقة بالله ، وبالله وحده ،
وفي يوم من الايام دخل خالد على ابي بكر بعد مقتل مالك بن نويرة
وفي عمامته اسهم ، غرسها للمباهاة ، فقام عمر حينئذ فنزعها
وحطمها .

● ودليل آخر لطيب عمر وان ميزانه لم يتغير قوله لخالد :
« يا خالد والله انك علي كريم وانك الي لحبيب ولا تعابني بعد
اليوم على شيء » . فعمر ما خطر بباله حقد على خالد ، الا تكفينا
شهادة داهية العرب « عمرو بن العاص » حين شهد بعمر فقال .
« لله در عمر أي رجل كان » ! كلمة قالها رجل يعرف الرجال ،
فعمر رجل لا يسهل نقده ، ولا يتأتى لانسان ان يحاسبه كما حاسب
هو نفسه ، ولا يقع الخلاف بينه وبين منصف الا على انه اختلاف
في الامزجة وتركيب العقول ، وعمر بشجاعته وثاقب بصيرته عرف

ان بعضهم قد لا يفهم مغزى عزله لخالد ، لذلك أوضحها بكتابه
للامصار ، وقال وهو يخطب في الجابية لينهي كل تقول : « اني
أعتذر اليكم عن عزل خالد بن الوليد » ، لوضع حد لكل من لم يفهمه
بعد ولينهي على وسأوسه .

● ودليل آخر على حب عمر لخالد قول عمر عندما وصله نبأ
وفاة خالد : « قد ثلم في الاسلام ثلثة لا ترتق » ، رغم كل هذا
التوضيح لم يفهم عمر أناس كثيرون فقال بعضهم : « لم يكن هذا
رايك فيه » فقال كي تزول الاوهام من النفوس وانه ما فعل الذي
فعل الا لحرصه على اموال الامة وسلامة قلوب العباد : « ندمت علي
ما كان مني اليه » .

● ولما علم عمر انه لم يترك من حطام الدنيا غير فرسه وغلामه
وحسامه فقط من فتح الفتوحات وكسر الاباطرة والاكاسرة وغنم
من الاموال ما غنم ، لم يترك من حطام الدنيا شيئا يذكر ، كله في
سبيل الله ، والله وحده ، قال عمر لما علم بهذا : « رحم الله ابا سليمان
كان على غير ما ظنناه عليه » ، ظن بتصرفه بالمال وهباته للناس ، فعلم
علم اليقين الآن رضي الله عنه وعن خالد ان خالداً كان ينفق في
سبيل الله ولم يتخير لنفسه .

● ودليل آخر على حب عمر لخالد : كان عمر ينهى عن التذبدب
والعويل ، فلما مات خالد واجتمع بنات عمر يبكينه ، يبكين القائد
والمجاهد ، وسئل عمر ان ينهاهن ، قال : « دعهن يبكين على ابي
سليمان ما لم يكن نفع او لقلقة ، على مثله تبكي البواكي » .

● ودليل آخر لحب عمر لخالد عندما قال للشاعر المخزومي الذي مدحه بعد وفاته :

((قصرت في الثناء على ابي سليمان رحمه الله ، انه كان ليحب ان يذل الشرك واهله وان كان الشامت به لمتعرضا لمقت الله ، رحم الله ابا سليمان ، ما عند الله خير له مما كان فيه .))

وأخيرا ...

((ومن الحق ان يقال ان قضية خالد قد أرتنا مروءة خالد كما أرتنا مروءة عمر ، وقد عرضت لنا هذا البطل في صفحتيه ، فاذا هو بطل الفؤاد في ولايته وبعد عزله ، وفي شدته على عدوه وطاعته لاميره ... وما على مثله من ضرر أن يحق عليه العزل في ميزان عمر بن الخطاب فذاك ميزان تعلو فيه الكفة ولا يزال صاحبها راجحا أي رجحان .))

وقد استحق المجد بيقين واستحق العزل بظن ، ولولا مصلحة أعلى من مصلحة الإبقاء على رضاه لكان ذلك الظن حقيقاً بالفض عنه والتجاوز فيه ...

وكفى بالرجلين فضلا ان يختلفا ومن وراء اختلافهما فضل يعترف به كلاهما ويعترف به كل محب وشانيء وكل منصف وجاحد ، وما نخال ان تقديرنا لخالد وتقديرنا عمر يدعونا ان ننصب الميزان في هذه القضية من جديد ، فقصارى ما نغنم من ذلك ان خالدًا كان جديرا بالبقاء في منصبه ولم يكن مستحقا لعزله ، وليس ذلك بشيء الى جانب ما رأيناه حين نصب الميزان في القضية كما

نصبه خليفة الاسلام ، فقد ارانا عدلا اعظم من بطولة الابطال . فان
اخطأ البطل — على تقدير خطئه — فالعدل اعظم منه واخرى ان
يتعقبه كانه من اضعف الضعفاء ، وذلك ميزان اشرف لعمر ولخالد
وللاسلام من كل ميزان » .

رحم الله عمر وخالدا ، فالاول بطل من ابطال العدل وتنفيذ
الاحكام ...

والثاني بطل ابطال الجهاد والفتوحات .
وكل ميسر لما خلق له .



بطولات بعد اليرموك

● الفارس الذي كان يقاتل عاريا
الا من شيء يوارى عورته ... انه
ضرار بن الازور .

أراد أبو عبيدة أن يسير بعد اليرموك جيشا للملاقات « وردان
الرومي » صاحب حمص ، فقال له خالد : « يا أمين الأمة اني أعرف
رجلا لا يخاف الموت ، خيرا بقاء الرجال قد مات أبوه وجده في
القتال » .

أبو عبيدة : « من هذا الرجل يا أبا سليمان ؟ » .

خالد : « هو ضرار بن الازور » .

أبو عبيدة : « والله لقد صدقت ووضعت رجلا باذلا معروفا
فافعل » .

رجع خالد الى خيمته واستدعى ضرارا فجاء اليه فقال خالد :
« يا ابن الازور ، اني أريد أن اقدمك على خمسة آلاف قد باعوا
انفسهم لله عز وجل ، واختاروا دار البقاء على الاولى ، وتسير الى
لقاء العدو ، هؤلاء القوم الذين وردوا علينا ، فان رأيت لك منهم
طمعا - بالنصر - فقاتلهم ، وان رأيت انك لا تقدر عليهم فابعث
الينا برسولك » .

فقال ضرار : « وافرحناه ، والله يا ابن الوليد ما دخل قلبي فرحة أعظم من هذه » . ثم جمع خالد لضرار الجند ، وسار ضرار حتى وصل الى « بيت لهما » فوقف هناك حتى لحق به جميع أصحابه ، ثم اقترب من عدوه ، فوجده جيشا كبيرا ، فاقترح بعضهم ان يرجعوا . . . فقام رافع بن عميره الطائي وقال : يا قوم وما الخيفة من هؤلاء العلوج ، اما نصركم الله في مواطن كثيرة والنصر مقرون مع الصبر ، ولم تزل طائفتنا تلقى الجموع الكثيرة والجموع اليسيرة ، فاتبعوا سبيل المؤمنين وتضرعوا الى رب العالمين ، وقولوا كما قال قوم طالوت عند لقائهم جالوت « ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » . فقرر الجميع المجابهة ولقاء جيش « وردان » فكان اول من برز للروم قائد الكتيبة « ضرار بن الازور » ، عاري الجسد الا من ازار يوارى عورته ، تقدم على فرس وبيده قناة وهو يهتف الله اكبر . . . ويحمس القوم ويوصيهم ، وكان رضي الله عنه يقاتل بهذا الشكل رغبة منه بالشهادة .

هال الروم منظر هذا الرجل لشكله وجراته ، هالهم هذا الفارس الذي يطلب قائدهم « وردان » للنزال ، يتردد قائد الروم لكن ضرار يتقدم نحوه فاذا فارس رومي يتقدم الى ضرار معترضا فقتله ضرار بحربته ، وتراجع وردان الى الخلف فقالت البطارقة : (الى اين ايها السيد ؟ اتفر من « الشيطان » فما رأينا أدنى من منظره ولا اهل من مخبره) . نظر ضرار الى وردان وهو منعطف الى الوراء فعلم انه قد عزم على الهرب ، فصاح ضرار :

الموت حق أين لي منه المفر . وجنة الفردوس خير المستقر
هذا قتالي فاستعد يا من حضر وكل هذا في رضا رب البشر

وسار بين جند الروم يريد « وردان » لكن الروم احدثوا به
ورماه « همدان بن وردان » بسهم اصابه فأوهنه فأحس ضرار
بالالام فحمل على همدان فضربه ضرار برمحہ ولما سحبه خرج
الرمح من غير سنان ، فطمع الروم به ، وحملوا عليه واخذوه
اسيرا .

نظر الجند الى ضرار يؤسر ، فصعب عليهم الامر ، وقاتلوا بقوة
ليخلصوه ، فما استطاعوا ، فقرروا التراجع ، فقال رافع بن عميرة :
يا اهل القرآن ، الى أين تريدون ؟ ، أما علمتم أو من ولى ظهره
لعدوه فقد باء بغضب من الله ؟ وان الجنة لها ابواب لا تفتح الا
للمجاهدين ... الصبر الصبر ... الله الله ... الجنة الجنة » .

بلغ خالد الخبر برسول أرسل من الجيش ، فقال رضي الله
عنه : « كم العدو » ؟ قالوا : « في اثني عشر الف فارس » فقال :
« والله ما ظننت الا انهم في عدد يسير » ، ثم سأل عن مقدمتهم
من يكون ؟ فقليل له : « وردان صاحب حمص ، وقد قتل ضرار
ولده » . فاستشار خالد ابا عبيدة ، فأشار عليه ان يترك على الباب
الشرقي بدمشق من يثق به وان يسير اليهم ، فقال خالد : « والله
ما انا ممن يبخل بنفسه في سبيل الله » فوضع على الباب الشرقي
ميسرة بن مسروق العبسي ، ومعه الف فارس ، واوصاه ان يثبت
في مكانه ولا يفادره ، ثم عطف خالد الناس وقال لهم : « اطلقوا

الاعنة وقدموا الاسنة ، فاذا أشرفت على العدو فاحملوا حملة واحدة ليخلص فيها ضرار ان شاء الله تعالى ، ان كانوا أبقوا عليه ، والله ان كانوا عجلوا عليه لتأخذن بثأره ، تقدم خالد وهو يقول :

اليوم يوم فاز فيه من صدق لا أهرب الموت اذا الموت طرق
لاروين الرمح من ذوي الحدق لا هتكن البيض هتكا والدرق
عسى أرى غدا مقام من صدق في جنة الخلد وألقى من سبق

وأثناء الاشتباك مع جند العدو ، رأى خالد فارسا بيده رمح طويل وهو لا يظهر منه الا الحدق ، والفروسية تلوح في شمائله ، وعليه ثياب سود ، وقد حزم وسطه بعمامة خضراء وسحبها على صدره ومن ورائه ، وقد سبق أمام الناس ، فقال خالد : « ليت شعري من هذا الفارس ؟ » فتبعه خالد والناس وقاتلوا قتالا شديدا وخرج هذا الفارس المثلث من بين الصفوف وسنانه ملطخ بالدماء بعد أن عرض نفسه للهلاك مرارا ، وظن بعضهم ان هذه الحملات لا يكون مثلها الا لخالد ، ولكن خالد بينهم ، رجع هذا الفارس المثلث الى الاعداء فأقبل رافع بن عميره وسأل خالد : « من يكون الفارس » . فقال خالد : « والله انني أشد انكارا منكم له ، ولقد اعجبني ما ظهر منه ومن شمائله » . قال رافع : « انه منكم بين الروم » . قال خالد : « معاشر المسلمين احملوا باجمعكم وساعدوا المحامي عن دين الله » فوصل خالد اليه ودافع عنه والفارس المثلث فخضل بالدماء ، فقال له خالد : « لله درك ، اكشف لنا عن لثامك » ، فمال الفارس عنه ، ولم يخاطبه ، وانغمس في قتاله ... ثم رجع الى جيش المسلمين فتقدم يخاطبه خالد مع كوكبة من جنده ، وقال :

« ايها الفارس الكريم من انت ؟ » ، فلم يجب ، فقال احدهم :
« ايها الرجل الكريم ، اميرك يخاطبك وانت تعرض عنه ، اكشف عن
اسمك وحسبك لتزداد تعظيما » فلم ينطق الفارس الملثم ، فقال
خالد : « ويحك لقد شغلت قلوب الناس بفعلك ، من انت ؟ » ، فلما
الح خالد . . . خاطبه الفارس من تحت لثامه بلسان انثى : « انني
يا امير ، لم اعرض عنك الا حياء منك لانك سيف الله ، لانك امير
جليل ، وانا من ذوات الخدور ، وربات الستور ، وانما حملني على
ما رايت انني محرقة الكبد زائدة الكمد » فقال لها : « من انت ؟ » ،
قالت : « انا خولة بنت الازور ، المأسور بين المشركين اخي ، وقد
جئت اتبعكم لما قال لي الساعي ان ضاررا اسير ، فلما راى خالد
ما ظهر من هذه المرأة ، حمل وحمل معه الجميع حملة فاصلة
اضطربت بها جيوش وردان وانسحبت شمالا ورجع المسلمون الى
مواقعهم ، واخذت خولة تسأل عن اخيها ، وسأل ترجمان الاسرى
فلم يجب احد فأيست خولة منه فبكت ، وجعلت تقول : « يا ابن
امي ليت شعري ، في أي بيداء طرحوك ، أم بالحسام قتلتوك ؟ ،
يا اخي اختك لك فداء ، ليت شعري أترى اني اراك بعدها ؟ لقد
تركت يا ابن امي في قلب اختك حجرة لا يخمد لهيبها ولا يطفأ ،
يا ابن امي ألحقت بأبيك المقتول بين يدي النبي (ص) ؟ فعليك مني
السلام . . عليك مني السلام . . . عليك مني السلام . . . » .

فبكى الناس من قولها ودمعت عين خالد لكلامها ، وفي أثناء
ذلك تقدم فرسان من الروم ، فتهيأ القوم ولكنهم ترجلوا عندما
اشار الفرسان بالامان ، فقال خالد : « من انتم ؟ » فقال رجل

بالعربية نحن جند هذا الرجل « وردان » ومقامنا حمص ، وقد تحقق عندنا ما يطيعكم ولا يستطيع حربكم ، فاعطونا الامان، واجعلونا من جملة من صالحتم من سائر المدن ونؤدي لكم الجزية التي اردتم في كل سنة ، وكل من في حمص يرضى بقولنا » ، فقال خالد : « اذا وصلنا الى بلادكم لن يكون الا الصلح ان شاء الله ، اما هنا فلا نصالحكم وكونوا معنا الى ان يقضي الله ما هو قاض ، ثم قال لهم خالد : « هل عندكم من صاحبنا الذي قتل ابن صاحبكم ؟ » قالوا : « لعله عاري الجسد الذي فجع صاحبنا في ولده ؟ » قال خالد : « عنه سألتكم » قالوا : « بعثه وردان اسيرا على بغل ووكل به مائة فارس ، وانفذه الى حمص » ، فرح خالد بقولهم ثم دعا برافع بن عميرة الطائي وقال له : « يا رافع ما أعلم احدا اخبر منك بالمسالك وانت الذي قطعت بنا المفازة من ارض السماوة واعطشت الابل وأوردتها الماء ، واورتنا « اركة » وما وطئها جيش قبلنا لمفازتها ، وانت من خيرة اهل الارض في الحيل والتدبير ، فخذ معك ما أحببت واتبع أثر القوم فلعلك ان تلحق بهم وتخلص صاحبنا من ايديهم ، فلئن فعلت ذلك لتكونن الفرحة الكبرى » ، فقال رافع : « حبا وكرامة » ، وفي الحال انتخب مائة فارس شدادا من المسلمين وعزم على المسير ، فأتت البشري الى خولة بمسير رافع ومن معه في طلب اخيها ضرار فتهلل وجهها فرحا وأسرعت الى لبس سلاحها وركبت جوادها وأتت الى خالد ثم قالت : « أيها الامير سألتك بالطاهر المطهر محمد سيد البشر الا ما سرحتني مع من سرحت ، فلعلي أن اكون مشاهدة لهم » ، فقال خالد لرافع : « السمع

والطاعة » وارتحل رافع ومن معه وخولة تسير في اثر القوم الى ان اقتربوا من « سليمة » فنظر رافع ومن معه الى القوم يبحثون ، فلم يجدوا اثرا لهم ، فقال لاصحابه : « ابشروا فان القوم لم يصلوا الى ههنا ، فكنن بهم في « وادي الحياة » وبينما هو في كمينهم اذ بفبار لاحت ، فقال رافع : « ايقظوا خواطركم وانتبهوا » فبقي القوم في يقظة في انتظار عدوهم ، واذا بهم قد اتوا وهم محدقون بضرار » يسير على قدميه والحديد بيديه اما هم فعلى جياذ من حوله ، ففاجأهم المسلمون على حين غرة ، ودار قتال قصير ، ولكنه شديد ، فخلص رافع ومن معه ضاررا ، فقتلوا من قتلوا وهرب من الروم من هرب ناجيا بروحه ، وعاد رافع الى خالد ومعه ضرار فهناه بالسلامة ، واثنى خالد على رافع بكلمات فيها تشجيع القائد العام الى قواد الفرق ، تقديرا لانجازهم المهمات ، واقرارا بجهودهم المثمرة واعجابا بتضحيتهم وصدقهم في طلب الشهادة ، عاد خالد ورافع الى دمشق وفرح المسلمون بنصر الله .

سؤال قد يخطر ببال ...

هل قاتلت خولة في سبيل الله ؟ ام قاتلت في سبيل تخليص اخيها من الاسر ؟ ...

الحق انها قاتلت في سبيل الله ، ليبقى هذا المغوار يضرب في نحور اعداء الله ، لو قاتلت لاجله ولاجل تخليصه لرجعت به الى دارها في المدينة وقد تحقق لها تخليصه ، وكانت خولة قد طلبت منه الخروج الى الجهاد قبل اليرموك ، وقاتلت في اليرموك مع

أخيها في الصفوف الأولى ، وفي ساحات المعركة الحاسمة كانت ساعة تداوي وساعة تحمس وساعة ترد الفرسان والخيول ، فمن طلب الخروج الى حيث يدري : انها الحرب ، قتل ودماء فمن خرج لهذا ، خرج في سبيل الله وتخليص أخاه الله أيضاً ، ليبقى في مقدمة الجند ويكسب الشهادة كما كسبها أبوه من قبله ، ليكسب الشهادة وهو في الصف الأول مقبل على أعدائه غير مدبر ، عندها تفرح خولة لهذا الفوز وتنهأ به ، رجعت خولة الى أسوار دمشق هي وأخوها وهناك اشتركا في القتال وفي الحصار حتى كتب الله لها ولاخيها الشهادة عند السور الشرقي ، وما زال ضريحها على بعد عشرات الامتار من السور وبجوارهما شرجيل بن حسنة ، وضريح ضرار مهلهل مهدم مجمع للقمامة ليست الامة تدري ان في داخل هذا الضريح أسدا هصورا وسيفا من سيوف الله ، جبدا لو حسن هذا الضريح ، تقديرا من أمتنا لأبطالها ...

فأمة لا تقدر عظماءها ، أمة لا تعرف العظمة .

وأمة لا تقدر أبطالها ، أمة لن تسطر البطولات في ميادين حياتها .

« والحمد لله رب العالمين »

خاتمة

في القرآن الكريم معجزات كثيرة تثبت انه وحي يوحى ، من هذه المعجزات ما هو علمي او كوني او تاريخي . . منها ما تحقق وجاء العلم مطابقا له وكان الفضل في السبق الى كتاب الله عز وجل ، ومنها ما اثبتته القرآن عقيدة في نفس المسلم ، لكن قد يحتاج الى سنوات - تقصر او تطول - حتى حين تحقيقها علميا كما جاءت في كتاب الله من قبل .

من اعجاز القرآن الذي يناسب كتابنا هذا . قوله تعالى في سورة الروم :

« آلم . غَلَبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِي بَضْعِ سِنِينَ . اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ، بَنَصَرَ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ » .

فبدات السورة بحروف الالف واللام والميم للاستدعاء والتنبيه، ثم تبع ذلك انكسار الروم في البلاد المتاخمة للحجاز « ادنى الارض » وهي بلاد الشام ، وبشرى بنصر يحزره الروم خلال بضعة سنين وهذا وعد الهي محقق لها من الله لا يخلف وعده ، ولو ان

اكثر الناس لا يعرفون الحقائق وان كل ما يعرفونه هو بعض امور
الظاهر من شؤون الحياة الدنيا ، في حين انهم غافلون عن الآخرة ،
مع ما هي عليه من خطورة الشأن .

والآية نزلت في ظروف كانت فيها الحرب بين الروم والفرس
مسرحتها بلاد الشام وجزيرة الفرات ، انتصر الفرس فيها ، وفرح
مشركو مكة بذلك وشمتموا بالمسلمين الذين كانوا في مشاعرهم مع
الروم لانهم اهل كتاب ، فشق ذلك على المؤمنين واحزنهم فجاءت
الآية بشرى تكيد المشركين في مكة « وهم من بعد غلبهم سيفلبون
في بضع سنين » ثم جاء خبر ما سيحدث بعد انتصار الروم الا
وهو انتصار المؤمنين المسلمين « « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ،
ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ، وعد الله ، لا يخلف الله وعده
ولكن اكثر الناس لا يعلمون » .

وهذا ما حدث حسب اخبار القرآن الكريم ، وهذا من اعجازه ،
وهذا مع غيره من المعجزات اثبات ان هذا الكتاب من عند الله عز
وجل وليس من تأليف البشر .

ومما جرى عند انكسار الروم ان ابا بكر الصديق رضي الله
عنه راهن امية بن خلف - وكان الرهان لم يحرم بعد - وجعل
الامد خمس سنين او ست سنين وأعلم النبي (ص) بذلك فقال
له : مد الاجل لان « بضع » يمتد من ثلاث سنين الى تسع ، ففعل
وانتصر الروم وكسب ابو بكر الرهان واسلم كثير من المشركين على
أصح الروايات .

فهذا القرآن الكريم منذ نزوله الى يومنا هذا وهو في جـدة
فكل جيل يرى المعجزات في آياته . ويكفي لختام هذه الخاتمة
ان نذكر قوله تعالى :

« كتاب أحكمت آياته »

« صدق الله العظيم »



المحتوى

صفحة

٥	تصدير
١٣	دولة الرومان
١٧	تبوك
١٩	مظاهرة قوة
٢٣	رايات تخفق
٢٧	الطريق الى الشام
٣٣	اليرموك
٣٧	نظام الكراديس
٤٢	سورة الجهاد
٤٠	قبيل المعركة
٥٣	بطولات اثناء المعركة :
٥٥	- بطولة غلام
٥٦	- شبل آخر
٥٨	- شبل ثالث
٦٠	- ابو عبيدة حارس ليلى

صفحة

٦٢	• • • • •	— النساء في اليرموك
٦٥	• • • • •	— ساعات فاصلة
٦٩	• • • • •	عزل خالد
٨١	• • • • •	بطولات بعد المعركة
٩٣	• • • • •	الفهرست

كتب المؤلف

- ١ - القادسية (طبعة ثانية) •
- ٢ - اليرموك • (طبعة ثانية)
- ٣ - نهاوند « فتح الفتوح » (الطبعة الثانية
- ٤ - حصن بابلبيون وذات الصواري •
- ٥ - فتح الأندلس « معركة وادي لكة » •
- ٦ - الانسان بين العلم والدين (طبعة ثانية)
- ٧ - الاسلام في قفص الاتهام (طبعة ثانية) •
- ٨ - غريزة • أم تقدير إلهي ؟
- ٩ - من ضيع القرآن ؟
- ١٠ - الاسلام وحركات التحرر العربية •
- ١١ - آراء يهدمها الاسلام •
- ١٢ - هارون الرشيد « الخليفة المتهم ! » •

★ ★ ★

كتب قيد الإعداد أو طبع

- ★ القرامطة في الميزان •
- ★ جرجي زيدان في الميزان •
- ★ بلاط الشهداء « بواتيه » •

تطلب من دار الرشيد

دمشق - حلبوني - تجاه ثانوية أسعد عبد الله

ص ٢٤١٣ ب

من منشورات دار الرشيد

- ★ النحلة تسبيح الله (طبعة ثالثة)
- ★ سلسلة (قصص من التاريخ) للاستاذ محمد حسن الحمصي
- ١ - الدين الحق (طبعة ثالثة)
- ٢ - فآين الله ؟ (طبعة ثانية)
- ٣ - الايمان والزنازة المتجولة (طبعة ثانية)
- ٤ - أم لا كالأمهات (طبعة ثانية)
- ٥ - صراع بين الفضيلة والرذيلة (طبعة ثانية)
- ٦ - مهد البطولات (طبعة ثانية)
- ★ سلسلة شعب الايمان : للاستاذ محمد حسن الحمصي
- ١ - الايمان بالله تعالى
- ٢ - الايمان بالرسل (يصدر قريباً)
- ★ مجموعة حكايات حارثة للاستاذ عبد الودود يوسف •
- ★ حكايات عن القرآن الكريم للاستاذ عبد الودود يوسف •
- ★ المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأى : الدكتور فتحي الدريني
- وهو كتاب يجمع بين الدراسة القانونية والدراسة الشرعية

